

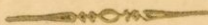
من نيل الغفان للشيخ محمد

١

الأخلاق الإسلامية

بقلم

محمد المهدي الحسيني الشيرازي



محمد المهدي الحسيني الشيرازي

شبكة كتب الشيعة



محمد المهدي الحسيني الشيرازي

www.Islamiyah.

shiabooks.net

رابطہ بدیل < mktba.net

الإخلاص للإسلامية

NEW YORK UNIVERSITY LIBRARIES
NEAR EAST LIBRARY

مطبعة الغري الحديثة في النجف الأشرف تلغون ٦٨٢

١٣٧٩ هجریة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أُحْمَدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَالصَّلَاةِ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ

تمهيد:

هذا عرض موجز للأخلاق الإسلامية ، إنزعهه من الكتاب والسنة المصدرين للشريعة الحنيفة، إلماعاً إلى الرصيد الضخم الذي يعزبه هذا الدين من الفضيلة البشرية، والمبادئ الانسانية . وقد يملك الإنسان العجب : حينما يرى البون شاسعاً بين القيادة المحمدية (ﷺ) في الأخلاق ، وبين المستوى الذي انحط إليه خلق المسلمين في العصر الحاضر، وليس هذا - لدى التدقيق - إلا من خطوط الاستعمار العريضة الذي سلب المسلمين كل شيء : من مبداه ودين ، وفضيلة وأخلاق .. وأبعد المسافة بين الشيبه وبين الكتاب والسنة ، حتى لا يقوم لهم عماد ، ولا يتقدم أحدهم بطلب دية القتل الذي تقطر برائنه الوحشية من دمانه ، القتل الذي كان عزهم ورفعتهم ، ودينام وآخرتهم ، واستقلالهم وسيادتهم ..

حتى لقد زعم بعض المسلمين - وهم في أحضان الكتاب والسنة - أن سبب تأخرهم هو دينهم ، وعله فساد أخلاقهم هي تمسكهم بمبادئهم ، وبذلك أصبح يفر المريض من علاجه ، إلى حيث يمكن موته المحتوم

والقوم بعد سادرون في التباعد ، والمسلمون بعد سائرون على المنهاج المصطنع ،
وكما زاد المسير ، ابتعدوا عن المقصد .

و من المدهش حقاً : أن يتهافت شباب المسلمين على فتات من موائد
الغرب أو الشرق ، زاعمين أنه غذاء الروح وحده ، فاذا ظهر كتاب (كيف
تكسب الاصدقاء) إنفضوا اليه ، من غير علم بأن ما فيه ليس إلا جزءاً من
ألف جزء من رصيدهم الثقافي الأخلاقي الضخم ، الذي نثره بين ايديهم
كتابهم وشريعتهم ، من قبل أربعة عشر قرناً ، ثم لا يبالون بأن ينسبوا
شريعتهم إلى الرجعية والجمود ، لخلوها عن الفضائل !!!

إن من ينصف لابد له أن يعترف بأن الاسلام أغنى شرائع
السماء ، وقوانين الارض ، وكلمات الحكماء ، وآداب الكتاب ، وقصائد
الشعراء . . من جهة شمولها على كنوز الفضيلة الممتعة ، ومعادن الأخلاق
الغنية ، بل لو أنك جمعت كل الحكم والقصائد المنشورة والمنظومة . مما ورثتها
الأنبياء والفلاسفة و . . . وجدت الاسلام أكثر من جميعها من هذه الناحية :
مما نص عليها الكتاب والسنة ، مع الغض عما ورثها الصالحون من
علماء المسلمين .

إن الدين الاسلامي منذ أن أعلن نبيه العظيم : « بعثت لأتمم
مكارم الأخلاق » أبدى شيئاً لم يكن بالحسبان ، وهو الارتباط الوثيق بين

الدين والخلق ، حتى ان كل شعيرة من شعائر الاسلام متشابهة مع فضيلة من الفضائل ، فلا الدين وحده ، ولا الأخلاق وحدها ، بل دين وأخلاق . وسيأتي عرض النواحي الأخلاقية لطائفة من الأحكام الشرعية ، مما يؤكد على أواصر القرابة المشجرة بين الاسلام والفضيلة .

فن لا فضيلة له ، لا دين له ، وإن صلى وصام وزكى وحج .. ومن لا دين له ، لا فضيلة له ، وإن جاد وأعطى ، وواسى ووفى ..

وبعد : فإن الأخلاق لا يكفي فيها الاتصاف الفارغ عن الروح ، كما لا ينفع الجسد الخالي عن الحياة . وكذا لا يجدي العلم بمحاسن الصفات ، ومساوى الملكات ، وإن قدر العالم بها : من ترصيفها وصفها ، وتقسيمها وجمعها ، ودرى أن أيها داخل في القوة الشهوية وأيها مرتبط بالحالة السبعية . كما لا ينفع العلم بالدواء ، وكيفية استعمال العقاقير .

إن النافع هو الملكة الحاصلة من التكرار ، حتى تنطبع في النفس الصفة الحميدة ، وتمحي عنها الخصال الفاسدة ، ويصبح الرجل والكرم - مثلاً - منتهى امنيته ، والشجاعة نقش طبيعته ، يجود في كل مناسبة ، ويقدم في كل هول ..

وحينذاك يمكن أن يطمئن الرجل بوجود الفضيلة في نفسه ، وانمحاء الرذيلة عنها ، لكن دون هذا عقبات وعقبات .

وليس أجدى لتحصيل الملكة من دوام التذكر ، والاستمرار في العمل ، فان النفس كالورق الأبيض ، ثم يؤثر فيها المحيط والبيئة والتربية والتعليم . . وينطبع فيها الغالب من الصفات . وليس الانطباع في النفس أمراً يسيراً . بل يحتاج الى التكرار والمداومة . وأما لو انطبع فيها لون من ألوان الرذيلة ، فالأمر أصعب بكثير . إذ يحتاج إلى إزالة تلك الملكة ، وإيجاد ملكة أخرى .

ومن الجدير بالذكر : أن الانسان مهما تعب لتحصيل الفضيلة ، وإزالة الرذيلة . لم يكن عمله عبثاً أو قليل الفائدة - كما يزعمه البعض - إذ مدار الرقي ، والذكر الحسن . . ليس إلا الفضيلة فحسب . أما سائر الأشياء : كالشرف الرفيع ، والجاه العريض ، والمال الغزير ، بل : والعلم الواسع . فلا تعد شيئاً يذكر . ما دام الشخص خال عن حلية الأخلاق الحسنة . وان احتاج اليه الناس . وركعوا امام شرفه أو جاهه . . فانه عرض زائل ، لا بقاء له ولا دوام له

محمد بن المهدي الحسيني الشيرازي



الطَّهَارَةُ

القذارة معنوية وظاهرية . وكلتاها نقص يشين الشخص . ويسقطه
عن الكمال . فيهبط في مستوى الدنائة والخسة . وان كانت القذارة المعنوية
أهبط جهة وأخس درجة . والقذارة هي هي، سواء لوئت الباطن أو الظاهر .
والفارق : أن الظاهرة منها تنكشف للعين بأول نظرة . فيمحصها النظر .
ويزدري صاحبها النفس . فيكون الاجتناب عنها أسرع . وملاحمها أئين .
والباطنة لا تنكشف الا عند التجربة . حيث تجلو خفايا النفس . وتظهر
تعاريج الضمير .

والاسلام يحرص المحرص كله لتطهير المجتمع من روااسب القذارة .
فيرشد الى مواضع الطهارة ، ويؤكد ضرورة النقاء ، ويلزم التنظيف
المستمر للقلب والجوارح والاعضاء ، على حد سواء ، وحيث أن الانسان
بطبعه لا يعتني بما يصيب جسده من النجاسة ، ولا ما ينشعب في قلبه من
الرزائل . نرى توالي الارشادات في القرآن والسنة الى لزوم النظافة .

وما الرصيد الضخم من الأحاديث الواردة بشأن الفضيلة ، والتحذير إليها . والرديلة والتنفير منها الا لما ذكرنا .

والمسلمون حيث كانوا في موضع أحكام الشريعة ، ملتزمين بها ، ومستئين لمنهجها . كانت أخلاقهم ألطف ، ومشاعرهم أطهر ، حتى اذا تخلوا عن قرآنهم وحديثهم ، فاذا هم يرتكسون في بؤرة القذارة ، ويرتطمون في أوحال الدنائة ..

* * *

المسلم طاهر العين من الخيانة ، فلا يمد عينه الى حرمة من حرمت الله ، ولا يتمنى ما ليس له من أعراض اناس ، وأموال آخرين . وقد نهى الله تعالى رسوله ﷺ عن ذلك ، تنبيهاً للامة ، وارشاداً لما فيه صلاح القلب : ﴿ وَلَا تَمْدِنْ عَيْنَكَ إِلَى مَا مَتَعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ : زهرة الحياة الدنيا ٠٠ ﴾ .

ان الله حسب حكمته العادلة يُمتع أصنافاً من الناس بمتع . اختباراً لهم ولأمثالهم الذين حرموها ، أو جزاءً أعلى سالف عمل عملوها ابتغاء مرضات الله ، وليس ما يُمتع به هؤلاء الا كزهور الربيع . لا تلبث الا ولفحات الصيف تذويه ، فتذهب زينتها ، ونهشم سوقها . فتمسى هشيماً تذروه الرياح .

فمن يمد العين اليها ليس الا متمنياً ما ليس له ، وراغباً فيما لم ير
الحكمة العليا صلاحه فيه . وربما كان نظره مجلبة لحسرة محزنة . او مفسدة
لقلب سليم .

قال الامام الصادق (عليه السلام) : « النظر سهم من سهام البليس
مسموم . وكُم من نظرة اورثت حسرة طويلة ! » ان السهم يؤثر في الجسم
يفسد الاعضاء . والنظر المسموم يؤثر في الروح فيفسد القلب . والسم في
النظر ربما كان افتك من السم في العقار . اذ المفاسد التي تترتب على الثاني
اقل من المفسدة التي تنطوي عليها النظرات الطائشة .

ولذا يقول الامام الصادق (عليه السلام) : « النظرة بعد النظرة تزرع
في القلب الشهوة . وكفى بها صاحبا فتنة ! ! » واي فتنة : اعظم من
ثمّار هذا الزرع الخبيث الذي يعجز الاطباء عن قلع جذوره . فلا يزال
ينمو وينمو ، حتى يؤتى اكله المر البشع .

وليس من المبالغة - اذاً .. ما يقوله الامام الباقر والامام الصادق (عليهما السلام) :
« ما من عضو الا وهو يصيب خطا من الزنا : فرنا العينين النظر ! وزنا
الفم القبلة ! وزنا اليدين اللبس ! صدق الفرج ذلك او كذب » ان
النظر شهوة محرمة ، والزنا شهوة محرمة . فلا استبعاد في تشبيه الاول
بالثاني . وان اختلفت المراتب ، وتباعدت المقادير ، ان حظلة واحدة

تشبه الحنظل الكثير في المرارة والعفوصة ، وان تفاوتت الكية .
 واي غاية لمن ينظر الى ما ليس له ؟ انه يجر الى قلبه الاضطراب ،
 والى اعصابه الهيجان ، فهو كمن يأكل ما يمرضه ، لمجرد حلو مذاق ، او
 شهوة لسان . ولو صبر قليلا ، وكبح جماح نفسه ، وجد حلاوة الطهارة ،
 وامن من المفسدة الموبقة . ولهذا يقول الرسول الحكيم : « النظرة سهم من
 سهام ابليس مسموم ، من تركها لله عز وجل لا لغيره ، أعقبه الله أمناً
 وإيماناً بمجد طعمه » .

وكم في قوله ﴿ وَاللَّهُ يَهْدِي الْقَوْمَ الْقَائِلِينَ ﴾ : « الله .. لا لغيره » من حكمة ؟! إن من
 يترك النظر لأمر يرجوه ، أو غاية يخافها - غير الله - لا يلبث أن تحدته
 نفسه بأضعاف ما كانت تهدي إليه عينه من الوسواس ، ثم هو إن نجى من
 المزلقة هذه المرة للملابسات وظروف ، لا ينجو منها مرة اخرى ، فهو معرض
 للخطر ، ومظنة للآثم ، وموضع هيجان وفساد .

يقول الامام الرضا ﴿ عَلَيْهِ السَّلَام ﴾ : « وحرّم النظر إلى شعور النساء
 المحجوبات بالأزواج ، وإلى غيرهن من النساء ، لما فيه من تهيج الرجال ،
 وما يدعو إليه التهيج من الفساد ، والدخول فيما لا يحل ، وكذلك
 ما أشبه الشعور .. » .

إن النظر وإن بدا - بادىء الامر - تافهاً : لا قيمة له في فساد أو

إفساد، إلا أنه أول القطار، ولا يلبث أن تنجم عنه عواقب، وتترتب عليه هنات .. ولو عبر عنه برسول البشر، لكان بموضع من الصدق .

« نظرة، فابتسامة، فسلام ... فكلام، فموعد، فلقاء ١١ »

وقد كان من أدب الرسول ﷺ : التدرج في بيان الفضائل . حيث تلائم الظروف، وتنكشف سوئمة الرذيلة . حتى يكون الارشاد بلسماً للجرح الذي حس به المجتمع . فيقع موضع القبول والتسليم . ولذا كانت عظاته منجمة، وتوجيهاته موزعة لظروف وأحوال ..

قال الامام الباقر (عليه السلام) : « إستقبل شاب من الأنصار إمراً بالمدينة - وكان النساء يتقنعن خلف آذانهن - فنظر إليها وهي مقبلة، فلما جازت نظر إليها، ودخل في زقاق سماه ابني فلان، فجعل ينظر خلفها، واعترض وجهه عظم في الحائط وزجاجة، فشق وجهه، فلما مضت المرأة . نظر، فاذا الدماء تسيل على ثوبه وصدره فقال : والله لآتين رسول الله ولا أخبرنه فلما رآه رسول الله (ﷺ) . قال : ما هذا ؟ فأخبره، فهبط جبرئيل بهذه الآية : « قل للمؤمنين : يغضوا من أبصارهم، ويحفظوا فروجهم، ذلك أزكى لهم ، إن الله خير بما يصنعون » .

والترتيب بين غض البصر، وحفظ الفرج، ثم بيان الزكاة التي هي الطهارة، عقب ذين الأمرين، حكمته الرائقة، فان النظرة الخاطئة هي

التي تثير بؤادر الزنا ، فنفقد الطهارة والشرافة في مصارع النزاهة .
 وكم يرينا التأريخ مأسى خيانة العين . وليس . صادفة أن ينص القرآن
 على علم الله تعالى بحركة العين الطائشة ﴿ يعلم خائنة الأعين ! وما تخفي
 الصدور ١١ ﴾ انه يعلم ذلك وسوف يحاسب الشخص على كل لحظة بصر ،
 وكل وسوسة صدر .

وأسوء من النظر المحرم الذي يمتد الى عرض محظور . وفي عرض الطريق
 وما إليه . . النظر الى حرام في دار ممنوع . من فوق السطح أو شق الباب
 أو كوة البيت . . فهو خيانة ودنائة ، يأبأها من شرفت نفسه .
 وطهرت طبيعته !

قال رسول الله (ﷺ) : « من اطلع في بيت جاره ، فنظر الى
 عورة رجل أو شعر امرأة ، او شيء من جسدها ، كان حقاً على الله : ان
 يدخله النار ، مع المنافقين الذين كانوا يتبعون عورات النساء في الدنيا ،
 ولا يخرج من الدنيا حتى يفضحه الله ويبيدي للناس عورته في الآخرة .
 ومن ملأ عينيه من امرأة حراماً . حشاها الله يوم القيامة بمسامير من نار ،
 وحشاها ناراً حتى يقضي بين الناس ، ثم يؤمر به الى النار » .

إن النظر الى عرض محظور ، او الى عورة محرمة ، والتطلع في
 بيت مجحور ، ومد العين الى زهرة الحياة . . كلها جنابات نفسية ، تكشف

عن خفة الحجبى ، و دنائة الذات .

والمسلم طاهر نزيه شريف . وهكذا يأمره الاسلام ، و يرتضيه
رسول الكرامة والشرف .

والمسلم نزيه اللسان : لا يلغز ، ولا يهمز ، ولا يشتم ، ولا يهذر ،
ولا يستغيب ، ولا ينم ، ولا ، ولا ، واللسان كثير الجريمة ، ان لم يصدده
النزاهة ، ولم يزمه الرجل بزمام من الصمت ، وربما أودى بصاحبه ،
وأورده موارد الهلكة ، والمكثار يغلب عليه العطب ، ويثقل على الناس
مجلسه . فانه يسيء حيث يظن انه يحسن .

وانه دليل القلب ، ومرآت العقل ، يقول امير المؤمنين (عليه السلام) :
« إذا تم العقل . نقص الكلام »

والقاذورات مهما كانت منتنة ، و كان تنفر الانسان منها اكثر ،
لا تبلغ عشر معشار ما يبلغه اللسان القذر . ان القذارة انما تولد جرائم
تسبب الأمراض البدنية . و اخيراً تؤدي الى هلاك رجل او رجال .

واللسان ربما يجمع . فيولد الجرائم الروحية التي هي افك من
جرائم الرض وافتك . وكثير ما اهلك اجيالا واجيالا .

واقل ما يناله المكثار ! انه يعرف في المجتمع بالثرثرة والهنذر . كما

ان اصغر حظ الصموت الهية في القلوب • وظن الناس فيه كل خير • قال
الامام الرضا (عليه السلام) : « من علامات الفقه : الحلم والعلم والصمت ، ان الصمت
باب من ابواب الحكمة • ان الصمت يكسب المحبة وانه دليل على كل خير »
وما اكثر ما يندم المتكلم ! واقل ما يندم الصامت ! ان الكلام
اذا ارخي زمامه احتقب الرطب واليابس ، وتوجه الى الصلاح والفساد ،
وذهب مسالك الحق والباطل ، اما الساكت ، فانه وان لم يتكلم بالحق ، لكنه
لم يتكلم بالباطل وانه وان لم يصح ، لكنه لم يفسد • وكفى بذلك فعلاً .
قال الامام الباقر (عليه السلام) : « ان داود قال لسليمان عليهما السلام :
يا بني ! اياك وكثرة الضحك ! فان كثرة الضحك تترك العبد حقيراً يوم
القيامة • يا بني ! عليك بطول الصمت ! الا من خير . فان الندامة على
طول الصمت مرة واحدة ، خير من الندامة على كثرة الكلام مرات •
يا بني ! لو ان الكلام كان من فضة • ينبغي للصمت ان يكون من ذهب »
وقد كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يتعهد اصحابه من جهة الكلام • كما كان
يتعهدهم من ناحية الصلاة والزكاة ، فيلمح في كل مناسبة الى اضرار
اللسان ، ويشير كل حين الى ما للثرثرة من عواقب •

قال الامام الصادق (عليه السلام) : « انى النبي اعرابي • فقال له :
الست خيرنا أبا واما ، وأكر منا عقبا ، ورئيسنا في الجاهلية والاسلام ??? »

فغضب النبي (ﷺ) ! وقال : يا عرابي : كم دون لسانك من حجاب ؟
 قال : اثنان : شفتان واسنان . فقال (ص) : فما كان في احد هذين
 ما يردعنا عرب لسانك هذا ؟ ! اما انه لم يعط احد في دنياه شيئاً هو اضر
 له في آخرته ، من طلاقة لسانه . يا علي ! قم ! فاقطع لسانه فظن الناس أنه
 يقطع لسانه ، فأعطاه دراهم » ، ان على الرجل المسلم ان يتعهد لسانه . كما
 يتعهد الزارع زرعه . والا نبت من الطفيليات والأعشاب الضارة ، ما يهلك
 الحاصل ، وتذهب ارباحه ادراج الرياح .

ومن راقب يوماً واحداً ندوة من الاندية ، ولاحظ كلام الناس
 وهذرهم . عرف الجنيات التي يحتجبها اللسان ، وفهم صدق قول الامام
 الصادق (عليه السلام) : « ما عبد الله بشيء افضل من الصمت ، والمشي الى
 بيته » ان الصمت تهذيب فردي . والذهاب الى بيت الله الحرام تهذيب
 مجتمعي ، لما في ذلك من اجتماع المسلمين ، وتعرف بعضهم الى بعض ، وما
 يعود اليهم بذلك من خير . فهما من افضل العباداة .

و: بما جرح اللسان احداً بما يسبب دوام القيقح ، وفساد القلوب
 « جراحات السنان لها التيام ولا يلتام ما جرح اللسان »
 قال الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام ، لسفيان : « يا سفيان !
 أمرني والدي (عليه السلام) بثلاث ، ونهاني عن ثلاث ، فكان فيما قال لي : يا بني ؟

من يصحب صاحب السوء لا يسلم ، ومن يدخل مداخل السوء يتهم ، ومن لا يملك لسانه يندم ، ثم أنشدني :

عود لسانك قول الخير تحظ به إن اللسان لما عودت معتاد
موكل يتقاضى ما سنت له في الخير والشر فانظر كيف تبتاد

يقال : إن لصاً دخل بيت حائك ، فاذا الحائك يحوك بزة قشبية ، وسمعه يكرر - وهو يحوك - قوله : (ألهم سلم رأسي من حصيد لساني) ولما أتم الحياكة ، أخذ البزة وخرج يقصد بيت الملك ، فاتبه السارق ، عليه يحصل فرصة السلب ، حتى وصل الحائك بيت السلطان ، وقدم البزة ، فاعجب الملك بها ، واستشار وزرائه عما يصلح له ، فأشار كل بما يرتئيه ، وحين ذاك قال الملك : إن أعلم الناس بالصلح له هو الحائك ، ولما استشاره عن ذلك ، قال : إنها تصلح للالقاء على جنازة الملك .

فتغير الملك ، واستشاط غيظاً ، وأمر بقتل الحائك ، وإذا بالسارق يستمهل الجلاد ، ويبين قصته ، وما كان يتكلم به حين الحياكة ، فغنى عنه الملك بعد ما علم أنه لم يقل ذلك عن عمد .

وما أروع المثال الذي ضربه الامام زين العابدين (ع) ، حيث قال : « إن لسان ابن آدم يشرف كل يوم على جوارحه ، فيقول : كيف أصبحتم ؟ فيقولون : بخير إن تركتنا ، ويقولون : الله الله فينا !! ويناشدونه

ويقولون : إنا نثاب بك ونعاقب بك » .

إن كثيراً من العقوبات تحل على الأعضاء ، بما جناه اللسان من شر
فاذا تركها اللسان كانت سليمة ، وإلا وقعت في أذى وخبال .

وأي داعٍ إلى الهذر بعد ما يضر كثير من الكلام ؟ وهل العاقل
يجر إلى نفسه الويلات بمشتمى لفظ يلفظه ، وكلمة يتكلم بها ؟ وهناك
حفظة يحفظون حصائد الألسنة ليحزى الشخص بها في العرض الأكبر يقول
الله تعالى : « ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد » .

وقد استخلص الامام أمير المؤمنين (ع) من الآية الكريمة
معنى بديعاً :

قال موسى بن جعفر عليها السلام : (مر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب
برجل يتكلم بفضول الكلام ، فوقف عليه ، ثم قال : يا هذا ! إنك تلمي
على حافظيك كتاباً إلى ربك ! فتكلم بما يعينك ، ودع ما لا يعينك) .

يا للهول ! كتاب إلى الرب ! لو كان الكتاب إلى ملك من الملوك ،
لتروى الانسان في تنميق الألفاظ ، وتخيير المعاني ، وتخير الوجوه . كيف؟
والكتاب إلى إله الكون : من يده البدء والمعاد . ودع عنك حديث ان
الكاتب ملك كريم . يصيه من الكلمات البذيئة والاقوال الفارغة ما يصيبه !
ولا يسبق إلى الذهن الساذج ، أن القصد ذم الكلام كيف كان .

إن كل شيء يرجع الوسط منه . لا اكثار ولا اقلال . ولا تفريط
ولا افراط . ان الحق يلزم الجهر به ، والارشاد يجب سوقه ، والترية
والتأديب ، والتعليم والهداية ، كلها مندوب اليها . والغالب أنها تفرغ في
الصيغ والألفاظ . فالكلام ههنا مرغوب فيه . وفي المثل : (الساكت عن
الحق شيطان أخرس) .

(سُئِلَ علي بن الحسين عليهما السلام : عن الكلام والسكوت ، أيهما
أفضل ؟ فقال : لكل واحد منهما آفات . فاذا سلما من الآفات ، فالكلام
أفضل من السكوت . قيل : كيف ذلك يا بن رسول الله ؟ قال : لأن
الله عز وجل ما بعث الأنبياء والأوصياء بالسكوت ، إنما بعثهم بالكلام .
ولا استحققت الجنة بالسكوت ، ولا استوجبت ولاية الله بالسكوت ، ولا
توقيت النار بالسكوت .)

ان الأنبياء الكرام . والمصلحين العظام . أرشدوا وهدوا ، وأصلحوا
ووجهوا . . . بالكلام . ومن الغلط أن نظن الكلام في الإصلاح والحق
هذراً . كما أن من الخبال ظن الحق باطلا . ان طهارة اللسان . لا يراد بها
الاجام . بل نزاهته عن اللغو والباطل . لاعتن الارشاد والذكر . فلمسلم
نزیه اللسان ، طاهر الفم ، نظيف اللغات .

* * *

والمسلم طاهر الملمس ، لا يسرق ، ولا يخون ، ولا يتبع الشهوات
الجنسية من غير حلها ..

إن الاعتدال في حركات اليد والرجل .. دليل الاعتدال في
النفس ، فالنفس الأبية لا تهبط في مستوى الخسة والانحطاط ، وتحلق في
أجواء الطهارة والعفة .

الجهالة الاولى مع ما كانت عليه من وضاعة الأخلاق ، وإنحراف
السلوك ، كانت تعد نزاهة اليد والرجل فضيلة يحمد صاحبها ، وإن كان
المجتمع - الذي منهم الحامد - مرتكساً في بؤرة القذارة والانحطاط ، وحين
وقت المفاضلة بين جد النبي ﷺ ، وجد عزيمة ، قال فيها شاعرهم :
« أبوك معاهر ، و أبوه عف .. »

و كانت العرب تسمي محمداً ﷺ : « الأمين » ..
إن السرقة جريمة ، والخيانة جريمة ، والزنا .. جريمة ، ترفع عنها
نفوس الأكرمين ، وهكذا يأمر الاسلام باجتنابها .

وقد كان شرط اسلام المؤمنات - الذي كان يتتبعه بالبيعة للنبي ﷺ -
العفة والنزاهة ، يقول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ ،
يَبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يَشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئاً ، وَلَا يَسْرِقْنَ ، وَلَا يَزْنِينَ ، وَلَا
يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ ، وَلَا يَأْتِينَ بِبَهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ ، وَلَا

يعصينك في معروف ، فبايمنهن ، واستغفر لهن الله ، ان الله غفور رحيم ﴿ .
وليس صدفه عابرة أن يقدم الله تعالى اشتراط عدم السرقة والزنا ،
على اشتراط عدم القتل ، ان القاتل قد يقتل لهيجان الأعصاب ، ثم يندم ،
ولكن السارق والزاني ، لا يفعلان الجريمة لا ونفسهما ملوثة ، وضميرهما آثم
أحاط به كدر القذارة !!

قال الصادق (عليه السلام) : « كان أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام يقول :
أفضل العبادة العفاف » . وقال الباقر (عليه السلام) : « ما عبد الله بشيء
أفضل من عفة بطن وفرج » .

ان الاسلام لا يمنع عن الطيب من الاكل والزواج ، بل يحرص
الحرص كله على اشباع هاتين الغريزتين من الموارد الطيبة المشروعة ، حتى
لا يتسول البطن ، ويتهلف الفرج ، نحو المحرم القدر .
ان عفة البطن والفرج حقاً من أفضل العبادة ، وأي عبادة أفضل
من التحصن عن المفسد الأخلاقية التي بها ينهار المجتمع . فالزنا يسبب
الأمراض الفتاكة ، ومراودة الولدان ، واقتناع الفتيات بالفتيات ،
أفئك من الطاعون !!

قال الصادق (عليه السلام) : « قال رسول الله (ﷺ) : أكثر ما تلج
به أمتي النار الاجوفان : البطن والفرج » . وقال (عليه السلام) : « قال (ﷺ) :

ثلاث أخافهن - بعدي - على أمتي : الضلالة بعد المعرفة ، ومضلات الفتن ،
وشهوة البطن والفرج .

ولو نظر الانسان الى المجتمع المتخلخل النهار ، لرأى السمة البارزة
عليه هاتين الشهوتين .

ففي المجتمع المهزول ، تتولد جرائم الفحشاء ، ثم تطغى وتطغى حتى
تعم البيوت الشريفة . وحين ذاك تستحق تلك الامة اللعنة والبوار ، وفي
الامم المنحطة تعم السرقة ، وتتبع الشهوات ، ولم يكن لافرادها عمل غير
امتلاء البطن من حل او حرام ، وقد كان رجل من (الشرفاء) يقول :
(الحلال ما حل بالكف !!!)

ان طابع الامة المتقدمة ، والمدينة الراقية : طهارة البطن وما حوى ،
والفرج وما دنى ووسام الامة السافلة ، والجمعية المتفككة ، أن تحكم
الشهوات فيهم ، فالمواخير عامرة ، والحرام سائد ، والنشاط معدوم ،
والفسق بادي

والاسلام لا يريد الرجل على علانه بل يريد الرجل التنظيف ،
ويبالغ في تنظيف القوى .

قال الامام الباقر (عليه السلام) - في تفسير قوله تعالى : (يا بني آدم قد
أنزلنا عليكم لباساً ، يوارى سوء آتكم ، وريشاً : - فأما اللباس فالثياب التي

يلبثون ، وأما الرياش فـالمتاع والمال ، وأما لباس التقوى فالعفاف . ان
العفيف لا تبدو له عورة ، وان كان عارياً من الثياب ، والفاجر بادي
العورة وان كان كاسياً (٠٠)

الفاجر مهتوك وان نزل في قعة الجاه ، وأحاط به تليد الأموال
وطارفها ، فهو فاسق فحسب ، وكفى ، ويقرب أن يجرّد عن ثيابه المزيفة ،
فيبدو للناس كأبشع ما يكون ، تشير اليه الاصابع : انه فاجر ، انه عبد
شهواته ! ! ٠٠ !

والعفيف مستور ، وان نام عرض الشارع ، ولم يوقر له كبر ، ولم
يحترم له مجلس ، انه عف عفيف ، وكفى ، مأمون مهاب ، له في القلوب
مكانة ، وفي الصدور عظمة ٠٠

ان العفة جهاد ، وجهاد كبير ! فان الآخذ بزمام البطون المستعر ،
واللّمس الملتهب ، أصعب من الجهاد في ساحات المعركة ، ولذا قد يجاهد
الجندي في أواسط الموت والرعب ، ثم يركع جثياً حول مفاتن فئات أو
دراهم معدودات ٠٠

أتى رجل الى الامام الباقر (عليه السلام) ، فقال : اني ضعيف العمل ،
قليل الصلاة ، قليل الصوم ، ولكن أرجو ان لا آكل الا حلالا ، ولا
انكح الا حلالا . فقال (عليه السلام) : « وأي جهاد أفضل من عفة بطن وفرج ؟ »

الاسلام يريد الرجل الطاهر النزيه ، نزيه اليدنزيه الرجل ، نزيه البطن ..
وكذلك المسلم الصحيح ، نقي الصفات ، نقي السمات ..

والمسلم طاهر القلب ، سليم النفس ، حصين الروح ، لا يحسد ،
ولا يرأى ، ولا يتكبر ، ولا يعتلي ، ولا يحقد ، ولا ينوي الشر ..
والاسلام يريد أن يكون ضمير الشخص أبيض من الثلج ، وأنقى
من اللجين ، وأصفى من الماء العذب ، يطوي على الخير ، ويثني على الحق ،
يسع الدنيا برحبها ، ويشرق إشراق الذكاء في رائحة النهار .

« فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ، ومن يرد أن
يضلّه ، يجعل صدره ضيقاً حرجاً ، كأنما يصعد في السماء ، كذلك يجعل الله
الرجس على الذين لا يؤمنون » .

وليست إرادة الله كالطفيليات التي تنبت مع الزرع ، لا بذرها
ولاسابقة ، ان الحكمة العليا لا تفعل عبثاً ، ان المرء اذا اتبع شهواته ، وتكذب
الطريق ، ولوى عن الحق ، وثنى عطفه ، لم يزد عن الله الا بعداً ، وعن
المنهج القويم الا ضلالاً ، فيضيق صدره عن قبول الحق .

وليس كذلك المسلم . فهو سليم الطوية « والذين اهدوا زادهم هدى »
كيف يحسد المسلم - او بالأحرى : العاقل - وهو يعلم ان تفوق

آخرين عليه ، ليس إلا من فضل الله وحسن بلاه ؟ إن شكر وصبر كان له الأجر ، وإن حسد وادبر ، كانت عاقبة امره خسراً .

ولم ينو الشر ، وهو يعلم : أن من يزرع الشر يحصد الشر ! وعلى من ؟ على عباده الله ! وما ينتفع بهذا ؟ عين الاذية والوخز !

إن صاحب الضمير النظيف في أكبر راحة ، وخير سعادة ، وتعود سلامة الصدر الى : السليم نفسه قبل غيره ، فهو يعمل ويفرغ ، ويذهب ويرجع ، ويجتمع ويفترق . . مثلوج الفؤاد . فارغ البال . خفيف المنكب عن اعباء الحسد والحقد . والفعل والاعتلاء . .

« اصبر على حسد الحسود . فانه هو قاتله

النار تأكل بعضها . ان لم تجد ما تأكله »

الحسد نار تأكل صاحبها . والفعل والكبر . . كلها نيران محرقة .

لاتبقي ولا تذر .

قال رسول الله ﷺ : « قلب المؤمن أجرد . فيه سراج يزهر . وقلب الكافر أسود منكوس » أجرد من القذارات فيه سراج من النور يزهر . فيضيء أعضائه . ويشع من أجله كل جارحة من جوارحه . ان القلب السليم كالتربة النقية . ينبت فيها كل خير . فيؤتي أكله الشهي . والقلب المريض كالتربة المالحه ، لا تكون إلا عفنة مجة .

تتكون فيه الجرائم ، وتنتشر منه الأوبية . ففساد الاعضاء ، وصلاحيها
ناجمة من القلب .

قال الامام الصادق (عليه السلام) : « ان منزلة القلب من الجسد :
بمنزلة الامام من الناس الواجب الطاعة عليهم . ألا ترى : ان جميع
جوارح الجسد شرط للقلب ، وتراجعة له . مودته عنه : الاذان والعينان
والانف . والفم . واليدان . والرجلان . والفرج ؟

فان القلب اذا هم بالنظر فتح الرجل عينيه ، واذا هم بالاستماع
حرك اذنيه وفتح مسامعه فسمع ، واذا هم القلب بالشم إستنشق بأنفه ،
فأدى تلك الراحة إلى القلب ، واذا هم بالنطق تكلم باللسان ، واذا هم
بالحركة سعت الرجلان ، واذا هم بالشهوة تحرك الذكر .

فهذه كلها مودية عن القلب بالتحريك ..
وسلامة القلب لا تحصل عبثاً واعتباطاً ، بل تحتاج الى مراقبة
مستمرة ، وكدح دائم ، ومواظبة طويلة ، وتنقية أثر تنقية ..

وللقلب تعاريج وملتويات ، ربما يظن الشخص : انه صفا نفسه عن
كدر الرذيلة ، فهي طاهرة نظيفة ، حتى اذا احتاج في القلب عرق الحسد
او الحقد او . او . لم يملك زمام نفسه ، وظهر خفي الاخلاق القدرة !
وقد تنبثت الحركة عن النفس عفواً ، فيظن الشخص فيها خيراً ،

ولكنها تنفس حقد مكتوم ، او حب جاه مخود ، او نوايا شر مكظوم . .
وحقاً ان مرض القلب من أخطر الامراض ، فانه لو فسد يفسد
الجسد كله ، فهو كالسرطان الذي ينبت في اللحم ثم لا يزال يمد يده ورجله
الى الاعضاء ، حتى اذا صادف موضعاً حساساً أهلك المريض ولا تبقى
منه باقية .

ان مرض القلب يفسد العاجلة والآجلة ، والدنيا والدين ، فكل
مرض لا يعد شيئاً بالنسبة اليه ، وان اودى بروح الحي ، فالحمد مقبوراً .
قال رسول الله ﷺ : « في الانسان مضغة ، إذا هي سلت
وصحت ، سلم بها سائر الجسد ، فاذا سقمت ، سقم لها سائر الجسد وفسد ،
وهي القلب » .

وأوصى أمير المؤمنين عليه السلام إلى ابنه ، فقال : « يا بني ! ان من البلاء
الفاقة ، وأشد من ذلك مرض البدن ، وأشد من ذلك مرض القلب ،
وإن من النعم سعة المال ، وأفضل من ذلك صحة البدن ، وأفضل من
ذلك تقوى القلوب » .

إن سليم القلب في أعظم النعم ، يرضى بالقسمة ، فلا يحزن ، ويعلم
أن ما آتى الله غيره لحكمة فلا يحسد ، ويدري ان عز الدنيا لا ينفع ، فلا
يتكبر ، ويتيقن بأن الأعمال الخالصة هي المقبولة ، فلا يرأى . .

وكما ان مرض القلب الجفاني يسبب ضعفاً عاماً في جميع المشاعر ،
وصاحبه معرض السكته ، كذلك مرض القلب الروحاني ، يوجب خبالاً
شاملاً في الاعضاء ، فاضطراب الحواس دليل على اضطراب القلب .

قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : « أعجب ما في الانسان قلبه !!! وله
مواد من الحكمة ، وأضداد من خلافتها ، فان سئح له الرجاء أذله الطمع ،
وان هاج به الطمع أهلكه المرض ، وان ملكه اليأس قتله الأسف ، وان
عرض له الغضب اشتد به الغيظ ، وإن سعد بالرضائى التحفظ ، وان ناله
الخوف شغله الخدر ، وان إتسع له الأمن استبطلته العزة ، وان جدت له
النعمة اخذته الغرة ، وان اصابته مصيبة فضحه الجزع ، وان استفاد مالا
اطغاه الغنى ، وان عضته فاقة شغله البلاء ، وان جهده الجزع قعد به
الضعف ، وان أفرط في الشبع كظنته البطنة .

فكل تقصير به مضر ، وكل افراط به مفسد » .

إن سليم القلب سليم الأعضاء والمشاعر ، ومريض القلب مريض
الأعضاء والمشاعر .

والسليم - أي شخص كان ، وفي أية وثبة كانت - أفضل
من المريض .

* * *

والمسلم طاهر الجسد من المنفرات ، نظيف البدن عن الغذارات ،
نظيف كل شيء منه وله وإليه ..

ولقد اهتم الاسلام بالنظافة أكبر اهتمام ، حتى قال ﴿ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ :
« النظافة من الايمان ! » .

نعم : من الايمان ! فغير النظيف ليس بكامل الايمان !
والنظافة مُشعب : نظافة الجسد ، ونظافة اللباس ، ونظافة الدار ،
ونظافة البلد .. وكلها مطلوبة ، مندب إليها الاسلام ، وحث المسلمين بها ،
بل ربط بين الفطرة الانسانية التي هي من مقومات الحياة ، وبينها .
انها كذلك أمر فطري ، فالفطرة كما تتطلب الماء والغذاء ، والدفء
والنور .. كذلك تتطلب النظافة والطهارة .

قال رسول الله ﴿ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ : « خمس من الفطرة : تقليم الأظفار ،
وقص الشارب ، ونتف الابط وحلق العانة ، (والختان - ظ -) » .

إن الانسان - وأقول : انسان ، فحسب - يتنفر من القدر ، كما
يتنفر من الجوع والعري ، فهو من الفطرة ، التي خلق في صيغتها .

قال الامام الكاظم (عليه السلام) : « خمس من السنن في الرأس ،
 وخمس في الجسد : فاما التي في الرأس : فالمسواك ، واخذ الشارب ، وفرق
الشعر ، والمضمضة ، والاستنشاق . واما التي في الجسد ، فالختان ، وحلق

العانة ، و تنف الابطين ، و تقليم الاظفار ، والاستنجاء .
 النظافة مظهر من مظاهر النفس ، فالنفس النظيفة تبعث على النظافة ،
 والنفس القذرة تبعث على القذارة .
 والنظافة جزء من أجزاء الجمال ، لا يتم الجمال إلا بها ، وقد تكسب
 القبيح جمالا ورونقا .

وفي الحديث : « ان الله جميل ، يحب الجمال » .
 وفي حديث آخر : « بئس العبد القاذور ! »
 وقد نثر نبي الاسلام عن القذارة بعبارات مختلفة . وألفاظ وأمثلة .
 وكان هو بنفسه مثالا حيا للنظافة في حله ومرتبه .
 قال الصادق (عليه السلام) : « لا يطولن احدكم شاربته ، ولا عانته ،
 ولا شعر ابطه ، فان الشيطان يتخذها مخاوي يستتر فيها » ان الشيطان قدر
 يأمر بالقدر ، ويسكن في القدر ، ويألف الى القدر ، فكل عمل قدر وقول
 ومظهر قدر ، فهو منه .

والله تعالى جميل طاهر ، يأمر بالجل والطهارة ، ويحبها :
 ﴿ ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ﴾ .
 ولقد جعل الاسلام النظافة من اشراط الايمان ، حتى قال
 رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فلا يترك

خلق عانته فوق الاربعين يوماً ، فان لم يجد فليستقرض بعد الاربعين
ولا يؤخر .

من كان يؤمن بالله واليوم الآخر !! المبد والمعاد يتوسطها النظافة ،
هذه النظافة التي لا تلحقها العيون ، فكيف بالنظافة في المواضع الظاهرة ؟
فان لم يجد فليستقرض : القرض المكروه لدى الشريعة في غير
ضرورة !!

إنها تأكيدات تستجلب النظر ، وتبعث على التأمل ...
ولا عجب بعد ذلك ان عدّ التنظيف الامام الرضا (عليه السلام) من
أخلاق الأنبياء .

قال (عليه السلام) : « أربع من أخلاق الأنبياء : التطيب ، والتنظيف
بالموس ، وخلق الجسد بالنورة ، وكثرة الطروقة » .
الأنبياء بجانب أنهم مأمورون بتبليغ شرائع الله الروحية ، وانهم
من أكثر الناس تمسكاً بالمعنويات ، متمسكون بالجوانب الجسدية ، حتى
أنهم لا يفعلون عن اصغر صغيرة تزيد الانسان نظافة وجمالاً ، حتى لو
كانت شعرة في الانف .

قال الصادق (عليه السلام) : « قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : ليأخذ احدكم
من شاربه ، والشعر الذي في انفه ، وليتعاهد نفسه ، فان ذلك يزيد في جماله »

واهتم الاسلام بشعر الرأس والحية - لمن كانت له - فأمر بتمشيطها حتى لا يبقى شعناً ، كرية المنظر .

« فقد كان النبي (ﷺ) يمشط ويرجل رأسه ٠٠ ويرجله نسانه ٠٠ وكان يضع المشط تحت وسادته ٠٠ » .

وكان (ﷺ) يقول : (تسريح الرأس يذهب بالوباء ، ويجلب الرزق ، ويزيد في الجماع) .

قال الصادق (عليه السلام) : (قال النبي (ﷺ) : الشعر الحسن من كسوة الله فاكرموه) .

وقال (عليه السلام) : (من اتخذ شعراً فليحس ولايته ، أو ليجزه) .
وكان (عليه السلام) يؤكد في السواك تأكيداً بليغاً .

فقد قال (عليه السلام) : (في السواك اثنتا عشرة خصلة : مطهرة للفم ، ومرضات للرب ، ويبيض الاسنان ، ويذهب بالحفر ، ويقلل البلغم ، ويشهي الطعام ، ويضاعف الحسنات ، وتصاب به السنة ، وتحضره الملائكة ، ويشد اللثة ، وهو يمر بطريقه القرآن ، وركعتان بسواك أحب إلى الله عز وجل من سبعين ركعة بغير سواك) .

وكان يبالغ في تنظيف الفم ، قال الرضا (عليه السلام) : (قال رسول الله (ﷺ) أفواهم طرق من طرق ربكم ، فنظفوها) .

وكما ان تنظيف الجسد محبوب مرغوب فيه ، كذلك تطيبه ، حتى يرغب الناس في المجالسة ، ولا يتنفرون عن المجتمعات والاندية .

وقد كان رسول الله ﷺ يتطيب بالمسك والعنبر ، وبالغالية ، وربما تطيبه بها نسائه بأيديهن ، وكان يكثر من العطر ، حتى ان الناس يعرفوه في الليل المظلم من ريحه الطيب .

وقد حث الاسلام أبلغ الحث المسلمين بذلك .

قال الامام الصادق (ع) : (لله حق على كل محتلم في كل جمعة :

اخذ شاربہ واظفاره ، ومس شيء من الطيب) .

والاستحمام مستحب لما فيه من إزالة الوسخ ، والاسلام أوجب في كثير من الاحيان غسل جميع البدن ، كما ندب في كثير من الاوقات ، والكثير من الافعال غسل تمام الجسد ، وليس ذلك إلا حفظاً للنظافة ، وإزالة للقذارة .

قال أمير المؤمنين (ع) : (نعم البيت الحمام : تذكر فيه النار ، ويذهب بالدرن) .

وقد كان من حرص الاسلام على النظافة العامة للجسد ان ندب الى الحمام

قال الصادق (ع) : (ثلاثة يسمن ، وثلاثة يهزلن ، فأما الذي

يسمن : فادمان الحمام ، وشم الرائحة الطيبة ، ولبس الثياب ٠٠) .

ويأتي بعد تنظيف الجسد وتجميله ، دور تنظيف الثياب وتحسينها .
وقد اهتم الاسلام بذلك اهتماماً بالغاً ، حفظاً على اناقة المسلم وجماله .
قال رسول (ص) : (من اتخذ ثوباً فلينظفه) .

وقال أمير المؤمنين (ع) : (النظيف من الثياب يذهب الهم
والحزن ، وهو طهور الصلاة) في حديث آخر عنه (ع) : (غسل الثياب
يذهب الهم والحزن ، وهو طهور للصلاة) .

ان الشخص إذا نظر إلى ثوبه فرآه قدراً ، حزن ، وطبيعي ذلك
فان العين تحتاج إلى المتعة ، كما ان الاذن وسائر الحواس تحتاج اليها . ومتعة
العين المناظر الحسنة ، والمباهج الجميلة .

وليس ما ورد في الحديث : (ثلاثة يذهبن الحزن : الماء والخضرة
والوجه الحسن) إلا إشارة إلى هذا الأمر الفطري .

إذا فالثوب النظيف بنفسه ، أو بالغسل ، من مذهبات الحزن ،
وأسباب الفرح .

والله تعالى لا يقبل من الصلاة إلا ما كانت في الثياب الطاهرة ،
ويزيد ثواباً لمن صلى في ثوب نظيف ، انه دين ودنيا ، جمال وصلاة ،
ونظافة ومرضات لله .

وكذلك الاسلام : يرى الدين والدنيا شيئاً واحداً ، فمن لا دين

له لا دنياه له ، ومن لا دنيا له لا دين له ، وعلى هذا ورد الحديث : * ليس منا من ترك آخرته لدينه ، وليس منا من ترك دنياه لآخرته * .
وتذهب الشريعة إلى أبعد من ذلك .

فيقول الامام الصادق * ع : * الثوب النقي يكبت العدو * ان العدو إذا نظر الى الرجل ، وهو قدر وسخ الثوب ازدراه ، ومن ازدري شخصاً تجرء عليه ، لكن الثوب النقي التنظيف ، يعظم الرجل في الأعين ، وبذلك يتوازن الاكفاء ، ان لم ترجح كفة التنظيف على عدوه .
وليس هذا فحسب : بل فوق ذلك ، ان الله يحب أن يرى الثوب الثمين على جلد عبده الذي أنعم عليه .

وقد أفحم الصادق * ع : * عباداً : الذي كلن يزعم ان الثياب الفاخرة من زينة الحياة الدنيا التي لا ينبغي للمسلم ان يتزين بها .
قال ابن القداح : * كان أبو عبد الله متكئاً علي - إذ قال : علي ابى - فلقية عباد بن كثير وعليه ثياب سرورية حسان ، فقال : يا أبا عبد الله ! انك من أهل بيت النبوة ، وكان أبوك وكان ! فما لهذه الثياب المزينة عليك ؟ ! فلو لبست دون هذه الثياب . فقال له أبو عبد الله : ويلك ! يا عباد !

* من حرم زينة الله التي اخرج لعباده ، والطيبات من الرزق ؟ *

إن الله عز وجل إذا أنعم على عبد نعمة ، أحب أن يراها عليه ،
ليس به بأس . . *

وتصل النوبة - بعد تنظيف الجسد والثياب - إلى تنظيف
البيوت وما إليها .

والاسلام رغب فيه ، كما رغب في الأولين - اد المدار في
الكل واحد .

قال رسول الله ﷺ : « لَا تَبْتَئُوا الْقِمَامَةَ فِي بَيْوتِكُمْ ، وَاخْرِجُوهَا
نَهَارًا ، فَانْهَا مَقْعَدُ الشَّيْطَانِ * » .

وقال أمير المؤمنين * عليه السلام : * : « نَظَفُوا بَيْوتَكُمْ مِنْ حَوْكِ الْعَنْكَبُوتِ
فَإِنْ تَرَكْتُمْ فِي الْبَيْتِ يَوْثَ الْفَقْرِ * » .

وجود القمامة ، وحوك العنكبوت . يورثان ضعفًا في الدين - فانها
مقعد الشيطان - وفقر في الدنيا .

ولا علاج الا بالنظافة ، والنظافة وحدها ، فهو دين وغنى . .
وهكذا يؤدب الاسلام أتباعه ، لا يرضى بحوك العنكبوت وبقاء القمامة
والنفايات ، فكيف بغيرها !؟

ان الدين يحارب القذارة بجميع مظاهرها ، ولو كان مندبلا غمرًا .
قال رسول الله ﷺ : « لَا تَبْقُوا مَنَدِيلَ الْلَحْمِ فِي الْبَيْتِ ،

فانه مريض الشيطان : ولا تبقوا اتراب خلف الباب . فانه مأوى الشيطان »

ان القذارة من عادات اليهود . فلا ينبغي للمسلم ، وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ، ان يتشبه بمن يعادي الله ، ان الله جميل يحب الجمال .
قال رسول الله ﷺ : « اكنسوا افيتكم ولا تشبهوا باليهود »
وقد أجمل الامام الصادق الميزان الذي يلزم أن يزن المسلم نفسه به ، مما يعم ما سبق ، وما لم يذكر .

قال « ﷺ » : ان الله يحب الجمال والتجمل ، ويكره البؤس والتبؤس ، فان الله عز وجل إذا أنعم على عبد نعمة . أحب أن يرى عليه اثرها .

قيل : وكيف ذلك ؟

قال : ينظف ثوبه ، ويطيب ريحه ، ويحسن داره . ويكنس افئيته ، حتى ان السراج قبل مغيب الشمس ، ينفي الفقر ويزيد في الرزق .
الى غير ذلك من الأحاديث الكثيرة التي تلتقي في النظافة والطهارة . .
ولو جمع الآثار التي وردت عن الرسول والأئمة صلوات الله عليهم ، بصدد النظافة والجمال من غسل ووضوء . وغسل وتطهير . وتطيب وتنوير وكنس وتنظيف . . بلغت مجلدات .

أَجِبْ لِعِبَادَةِ

عبادات الشريعة الاسلامية ، وان ظهرت - بادي النظر - اموراً روحية لا علاقة لها بالفضيلة فهو صلاة لله ، وحج لبيت الله ، وزكاة تعطى قرابة إلى الله . وصوم يراد به وجه الله ..
إلا أنها لدى الدقة من أسمى الأخلاق .
وقد عين النبي (ﷺ) : صبغتها العامة التي شرعت لاجلها يوم قال : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .
فهي عبادة إلى جنب كونها من مكارم الاخلاق .
بل أزيد من ذلك : هي تطهير روحي ، وعبادة ، وتنظيم للاجتماع ..
كما هي الطابع العام لكل ناحية من نواحي الاسلام .
حتى يصعب التفكيك بين النواحي المختلفة المنصبة على حكم أو أمر ونهي ..

وإن كانت السمة البارزة لبعضها العبادة ، ول بعضها الفضيلة ، و لبعضها الحدود ، و لبعضها تنظيم الاجتماع ..

لكن نظر الاسلام الى الكون حيث كان نظراً موحداً :
الاله واحد ، والأفراد سواسية كأَسنان المشط ، والكتاب واحد ،
والرسول واحداً ، والمعاد الى الله واحد .. كان كل تشريع من تشريعاته
ملتقى لمناحي الحياة المختلفة : الروح والجسد ، والدينـا والدين ، والعمل
والعبادة ..

وللتقى الآن نظرة خاطفة الى ناحية الأخلاق - أو الروح ،
بعبارة أدق - من نواحي العبادة ، حتى نرى انها من مكارم الأخلاق .

* * *

ان شرائع السماء كلها تقصد شيئاً واحداً ، وهو تهذيب النفس التي هي
اللبنة الاولى في المجتمع ، وبالتهذيب ، ترتقى النفس في مدارج الكمال ،
فينظم الكون ، وبهذا التنظيم تصلح الدنيا والاخرى .

وليس التهذيب الا تطهير الروح ، وتعديل خط المسير ، حتى
لا ينحرف يميناً وشمالاً . وهو مكارم الأخلاق :

ان عرفان خالق الكون خلق كريم ، وهو وسط بين القول بالنفى ،
والقول بالتعدد والخرافة .

ومعرفة سفراته خلق كريم ، وهو وسط بين النفي ، والكذب يجعل
من ليس بسفير سفيراً .

ومعرفة العود إليه خلق كريم ، وهو وسط بين السلب ، والخرافة في
نحو المعاد .

أليس : نكران المنعم بعد عن الفضيلة والأخلاق ؟ أليس عدم
تقدير الوسيط في العلم والتكامل والهداية خلاف الانسانية ؟ أليس التعامي
عن الجزاء بنافي الأخلاق الرفيعة ؟
وهكذا شأن سائر ما جاءت به الشرائع .

فالشرائع كلها مكارم الأخلاق .
والنبي الخاتم ﷺ إنما جاء ليتمم مكارم الأخلاق ، ويفرغها
في صيغتها الأخيرة .

يبين حدودها وأطرافها ، ويهدي إلى مقاييسها وموازينها ، ويرشد
نحو الطريق المستقيم ، الذي من زاغ عنه هوى في مهوى سحيق .

* * *

الصلاة - وهي من عبادات الاسلام ، وعبادات سائر الاديان
السابقة - تطهير وتهذيب ، وتذكير بالفضيلة ، وتنزيه عن الرذيلة .
تبتدء بالتكبير لله المنعم ، وهو فضيلة ، وتنتهي بالسلام على البشر

والملائكة ، وهو فضيلة .

وهي تذكير بنعم الخالق : رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، الذي
بيده المحكمة الجزائية : مالك يوم الدين . . . وتغزيه للرب العظيم الأعلى . .
ومن يعلم هذا ويتوجه إلى هذا الملك القدير ، فيعرفه ، ويذكر
اللقاء كل يوم خمس مرات : في مساء ومصبحه ووسطاً من النهار ، تنصهر
نفسه ، وتخلص من الكدورات ، وبذلك يستقيم مسلكه ويتعدى عن
الآثام والرذيلة .

ولذا ورد في القرآن الكريم : ﴿ إِنِ الصَّلَاةُ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ
وَالْمُنْكَرِ ﴾ .

ومثلها النبي ﷺ : « بالنهر الجاري الذي يقتسل الشخص
فيه كل يوم خمس مرات » .
لا درن ولا قذاره ، بل طهارة ونظافة ، وتعديل سلوك ،
وعرفان حقائق .

إنها حقاً مكربة من مكارم الأخلاق .

وفضيلة من الفضائل !

وإلى جنب ذلك كله : حس بالوحدة الانسانية الكبرى : إياك

نعبد - لا ، اعبد - وإياك نستعين - لا ، استعين - . فالمصلي يرى نفسه

واحداً من البشر ، يطلب لهم الخير من الاله العظيم .
وحس بالوحدة الانسانية الكبرى : في اجماع يضم بين الشريف
والوضيع ، والغني والفقير ، والعالم والجاهل . . في الجمعة والجماعة .
وهذا الحس نواة للتألف والتراحم . . وكلها فضائل بشرية ،
وأخلاق سامية .

وهل الأخلاق الرفيعة إلا هذه ؟

* * *

والصوم : قرينة وتطهير .

قرينة إلى الله ، وزلنى لديه ، انه خاص به ، وإلا فما يمنع الشخص
من الأكل والشرب . . في الخلاء لا يراه احد ، ولا يعلم به احد .
وبذلك يتولد الشعور بالمسؤولية أمام المالك العظيم ، ثم ينمو هذا الشعور
حتى يسيطر على جهاز الجسم كله ، وبه يبتعد عن الرذيلة ، وفي الحديث
القدسى : « الصوم لي . . » .

والصوم : جهاد مع النفس ، ورياضة بها تقوى على تحمل المكروه ،
والصبر عند الشدائد .

أليس يمتنع عن الأكل وهو يشتهي ؟ ويرتدع عن الملامسة ونفسه
تتوق إليها . .

إن الصائم يشعر بالجوع والعطش .. فيطهر روحه ، وتسمو نفسه ،
ويجتمع بفكره مع الفقراء فيحس بألمهم ، ويدرك ما يدركون ، فيرق لهم
ويعطف عليهم .

ثم : شهر رمضان اجتماع في الليالي بالعبادة ، وتفرق في النهار بالمعاش ..
كله جد وعمل دنيا وآخرة ، تبادل الحب ، واجتماع فوق صعيد الطهارة ،
وتحليق في أجواء الروح .

أليس هذه من الفضيلة ؟

ويلح إلى هذا تعقيب الآية : ﴿ كتب عليكم الصيام ، كما كتب
على الذين من قبلكم .. ﴾
بقوله : ﴿ لعلكم تتقون ﴾ .

تقوى من الرذيلة ، وتقرب إلى الفضيلة .

* * *

والحج : مؤتمر بني الانسان ، من كل الاقطار : لا عرب ولا عجم ،
ولا شرق ولا غرب ، ولا لسان ولا لون .. ﴿ جعل الله الكعبة البيت
الحرام قياماً للناس ﴾ .

فهو كالعمود الفقري الذي يحفظ الانسان عن التضعع والتفكك .
وهو امتناع عن الملذات وتطهير عن الذنوب ، وتذكرة ليوم

العرض الأكبر .

هنا علم الخير والفضيلة : الكعبة الكريمة ، يطاق بها ، تأثيراً الى :
أنا نطوف حول الفضيلة والخير ، كما نطوف بأجسامنا حول بيت الله :
الله الذي هو جميل وحق وعدل .. وكل خير .

وهناك علم الشر والرديلة : الجمار امثلة الشيطان ، تُرمى ، اشارة
الى : انا نرمي الشر وتقذف بها الى جانب ، فلسنا من الشر والرديلة ،
وليس الرذيلة والشر منا ..

والناس يجتمعون في صعيد واحد ، كلهم محرم ، كلهم محتجب عن
لوازم الجسم . كلهم بلون واحد كلهم في مكان واحد : عرفات ، ومزدلفة ،
ومنى .. كلهم أمام رب واحد .
أتعقل فضيلة أحسن منها ؟!

* * *

والجهاد : تحطيم للقيود والأغلال ، وإطاحة بعروش الظالمين ،
وتهديم لآبنية الرذيلة والزيغ « ويضع عنهم اصرهم ، والاغلال التي
كانت عليهم » .

إنه جهاد مع الاعداء « الذين لا يدينون دين الحق » .
وجهاد مع النفس ، بتنقيتها من الرذيلة ، وتنميتها بالفضيلة .

كي تتخلى عن الكذب ، والخيانة ، والرياء ، والاستعلاء ، و . و .
وتتحلى بالصدق ، والأمانة ، والاخلاص ، والتواضع ، و . و .

* * *

والزكاة والخمس والفقرة والكفارة . . تأليف بين الغني والفقير ،
واشاعة الحب بين الطبقات ، وترفيه المستوى المادي ، فيرفع
المستوى الأدبي .

يقول الحديث : « من لا معاش له ، لا معاد له » .
ثم هي نبد للشح ، وطهارة للنفس ، وترقيق للمشاعر ، وتحلية
بالسخر ، وعطف على المستضعف . .
وكلها أخلاق وفضائل ، وتدعيم للاجتماع . ودفن للذائل الراسية .

* * *

ولا أظني بحاجة إلى ذكر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .
إنها مجاهرة بالحق ، وصراحة في المنطق ، وتهذيب للمجتمع ،
وشجاعة ضد الباطل .

أمر بالخير ، وكفى !

ونهي عن الشر ، وكفى !

وما دام كل اجتماع . وعماد كل فضيلة . وامتداد كل خير .

ان المجتمع كالقصر المشيد ، إذا رمى كلما تقصر منه جانب ، وشيد كل دعامة لحقها الخراب ، بقی أنيقاً قابلاً للسكنى ، ولو ترك بحاله ، لم يعض إلا يسير ، حتى تناله يد الانهدام .

وكذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، إنها ترميم للمجتمع عن الانهيار ، وحفظ له عن الخراب والفناء ، فهما فضيلة ، وأساس كل فضيلة .

* * *

ولاية الأخيار ، والبرائة من الاشرار : تطهير للنفس ، ومشايعة للفضيلة ، وإنقطاع عن كل شر ، والمراء يعرف بمهواه ، كما يعرف بمجانسه ، فكل هاو يتبع المهوى ، وكل مجانس يتخلق بأخلاق المجانس .

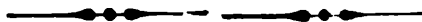
« إن الطيور على اشكالها تقع » .

وفي الحقيقة : ان التولي لأولياء الله ، والتبري من اعدائه ، وقاية وعلاج : وقاية عن استشراء الرذيلة ، وتوسع القذارة ، وعلاج لمن رسب في نفسه الشر . والتائب بالباطل .

هذه نتف عن جوانب العبادة الأخلاقية .

وبالفعل نرى كل ملتزم بها ، أقل شراً ، وأكثر فضلاً ونظافة . فكل سرقة وخيانة ، وافك ، وشهادة زور ، و . . . تجتمع في

حقائب التاركين ويندر أن ينضح منهم الى المتعبدين .
وبهذه اللمة الشاردة إلى روح العبادة ، تتبين ما ذكرناه أولا :
من إجماع الفضيلة في العبادات ، كما أن العبادة سارية في الفضائل .
فكل من العدل والاحسان والتعاون على الخير . . عبادة ان قصد
بها وجه الله ، وخلصت من نزوات النفس .
كما ظهر معنى حديث الرسول ﷺ : « إنما بعثت لأتمم
مكارم الأخلاق » .



الألف والواحد

بنو الانسان بعضهم من بعض ، وجلتهم واحدة لا انفصام لها .
مثلهم كمثل الاعضاء في الشخص الواحد ، لا يستغني احدها عن
الآخر ، كما لا غنى للانسان إلا بها أجمع .
فالاذن لا تقوم مقام العين ، والرجل لا تفعل ما تفعله اليد ، ..
والشخص بغير لسان ناقص ، وإن اكتمل من سائر النواحي ..
وقد خلق الله الكون وحدة يرتبط بعض أجزائه ببعض ، وإن ابتعدت
الاجزاء ، فالشمس وإن ابتعدت عن الارض ملايين كيلوات تضئها وتبعث
الدفء والحياة اليها ، والماء مرتبط بالهواء ، والحرارة تناط بها الاحياء ..
وليس الانسان إلا احد أجزاء هذا الكون الموحد ، فليكن بعضهم
دعامة بعض ، وأحدهم معين الآخر .
وبالفعل لا غنى لأي فرد عن المشاركة مع بني نوعه ، هذا يزرع ،

وذاك يحصد ، وأحدم يعجن ويخبز .. وذاك يندف ، وغيره ينسج ، وثالث
يخيط .. وواحد يبني ، وآخر يسكن ..

ثم الانسان محتاج إلى أبناء جلدته ، في المشاعر والعواطف ، والحب
والبغض ، والفرح والغضب ، والتعليم والتعلم ، والانس والعطف .. كلها
تحتاج إلى أطراف يجذبونها ، ويتبادلون أخذها وعطاؤها فهذا يحب ذاك ،
وذاك يعطف على الآخر ..

وهناك من الاعمال والاقوال والاحوال ، ما لا تقوم بنفس واحدة
فالصدق والحياء والعدل والأمانة .. كلها تجري في أطراف .
إذاً : فلامفر للانسان عن التعاون والتشارك ، حتى يتم النظام ،
وتسير الامور ..

وهذه الغرائز هي التي أوجبت الاجتماع وبناء المدن ، وازدهار
حضارات ..

والاتحاد - بعد ذلك كله - قوة : قوة في النفس ، وقوة في العمل .
ان من يعرف أن له معاوناً ، تتقوى نفسه ، وتشتد عزيمته ، وتنفذ
ارادته ، ثم تقوى عضلاته ، ويفور دمه وبذلك يكون أقرب إلى النصر
ونجاح الأمر .

وقد طلب نبي الله موسى (عليه السلام) - وهو رسول عظيم من اولي العزم -

من الله تعالى مشاركة أخيه : هرون ، في الدعوة ﴿ وأجعل لي وزيراً من أهلي ، هرون أخي ، اشد به ازري ، واشركه في أمري ﴾ حيث علم أن به شد الازر ، وتمام الأمر .

الذئاب - كما ينقل عنها - تترك هذه الحقيقة ، فتجتمع وتصير قطعاناً حيث تريد طلب العذاء .

والطيور - كما نرى - لا تسير إلا اسراباً ، ولا تعيش إلا مجتمعاً .

والنحل والنمل - وهما من صفار الحيوان - تهيء شؤونها ، وتدير أمورهما بالاجتماع .

وقد ضرب أحد الملوك - لأولاده - أروع الأمثلة : طلب حفنة من القصب ، وشد بعضها إلى بعض ، ثم ناولها كل واحد من أبنائه ، وطلب منهم كسرها فلم يتمكن أحدهم من ذلك . ثم نثرها وناولها أحد أولاده ، قصبة قصبة ، فكسرها جميعاً ، فقال : انكم إن اجتمعتم كان أمركم رشداً ، ولم يقدر عليكم احد ، وان تفرقتم أبادكم - واحداً واحداً - كل طامع .

وقد اهتم الاسلام بالالفة والوحدة أكبر اهتمام .
فحين قدم النبي ﷺ إلى المدينة آخا بين أصحابه ، وكانت

هذه أول طلائع النصر والقوة .

وأمر القرآن المسلمين بالوحدة فقال :

﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ، ولا تفرقوا ﴾ .

﴿ فأصبحتم - بنعمته - إخواناً ﴾ .

﴿ هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين ، وألف بين قلوبهم ، لو أنفقت

ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ، ولكن الله ألف بينهم ، إنه

عزيز حكيم ﴾ .

وبعد هذا لا وجه للعجب من حديث الرسول (ﷺ) : الذي

يجعل استفادة الأخ تلو الاسلام .

قال الصادق (عليه السلام) : « لا يرجع صاحب المسجد بأقل من إحدى

ثلاث : اما دعاء يدعو به يدخله الله به الجنة ، واما دعاء يدعو به فيرد الله

عند بلاه آ ، وأما أخ يستفيده في الله عز وجل .

ثم قال : قال رسول الله (ﷺ) : ما استفاد امرء مسلم فائدة

- بعد فائدة الاسلام - مثل أخ يستفيده في الله » .

فانضمام رجل إلى رجل - في نظر نبي الاسلام - يتلو الاسلام في

الأهمية ، فالاسلام صلاح للدين والدنيا ، والأخ صلاح للدين والدنيا ،

لكن على شرط أن يكون : « في الله » للصلاح والخير ، لا في الشيطان ،

للشر والعصيان .

ان الاخ هو اللبنة الاولى فى بناء الاجتماع ، فهو الحجر الاول للالفة والاتحاد ، وهكذا ينظر الاسلام الى الاخ الصالح ، حتى أنه يقرر ثواباً ضخماً لمجرد ذلك : مجرد استفادة أخ :

يقول الامام الرضا (عليه السلام) : « من استفاد أخاً فى الله ، فقد استفاد بيتاً فى الجنة » .

أليست الجنة نصيب الصالحاء ؟ وأليست الاخوة صلاحاً ؟ فاستفادة الاخ استفادة شطر فى الجنة .

وليست الاخوة باللسان ، فحسب ، انه أضعف المراتب ، والاسلام لا يرضى بها ، وإنما يريد الاخوة العميقة ، فالأخوان كالأعضاء ، ترتبط بعضها ببعض بعروق وأعصاب ، ولحم ودم ...

قال الصادق (عليه السلام) : « المؤمنون فى تبارهم ، وتراحهم ، وتعاطفهم كمثل الجسد ، اذا اشتكى تداعى له سائرته بالسهر والحمى » .

بل وأبعد من ذلك : « لا والله لا يكون المؤمن مؤمناً أبداً ، حتى يكون لأخيه مثل الجسد ، اذا ضرب عليه عرق واحد ، تداعت له سائر عروقه » كذا يقول الامام الصادق (عليه السلام) ١١٠

وما أجمل المثال ، وأغور عمقه ، وأطول جذوره ، وسبقاته :

« اذا اشتكى تداعى له سائرُه بالسهر والحمى » .

ليس انه يسوئه ، فحسب ، بل يتداعى بالسهر والحمى ، إنه مثال
ظريف رائع ، وهو يطابق الواقع تمام المطابقة .

إن كل فرد عضو الاجتماع ، وهو يفقد ميزاته إذا فقد منه عضواً ،
أو أصابه مرض ..

وكيف لا يكون كل فرد عضواً ، والحال ان جسم البشرية مركب
من هذه الافراد ؟

والدين حيث كان صلاحاً الدنيا ، وتهيئة للآخرة ، لا بد وأن يجعل
رعيده الاخروي من عناصره ، يقول الامام الصادق (عليه السلام) : « من
حب الرجل دينه ، حبه أخاه » .
إنه من الدين ، بل من أعظمه .

قال الامام الباقر (عليه السلام) : « قال جدي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) :
أيها الناس ، حلالي حلال إلى يوم القيامة ، وحرامي حرام إلى يوم القيامة ،
ألا وقد بينهما الله عز وجل في الكتاب ، وبينهما لكم في سبرتي وسنتي ،
وبينهما شبهات من الشيطان وبدع بعدي ، من تركها صلح له أمر دينه ،
وصلحت له مروته وعرضه ، ومن تلبس بها ووقع فيها ، واتبعها كان كمن
رعى غنمه قرب الحمى ، ومن رعى ماشيته قرب الحمى ، نازعته نفسه إلى

ان يرعاها في الحى ، ألا وان لكل ملك حى ، وان حى الله عز وجل
محارمه ، فتوقوا حى الله ومحارمه !

ألا وان وذ المؤمن من أعظم سبب الايمان !
ألا ومن أحب في الله عز وجل ، وابغض في الله ، واعطى في الله
ومنع في الله ، فهو من أصفياء المؤمنين عند الله تبارك وتعالى !
ألا وإن المؤمنين إذا تحابوا في الله عز وجل ، وتصافوا في الله ، كانا
كالجسد الواحد اذا اشتكى أحدهما من جسده موضعاً ، وجد الآخر ألم
ذلك الموضع .

* * *

والاسلام لأجل التحفظ على هذا المعنى النبيل « الألفه والوحدة »
يضع تقاطعاً ثلاثاً تحت النظر - كما هو عادة الاسلام في كل ترغيب وترهيب -
١ - الحث البالغ على الألفه والوحدة ، والاعتصام بحبل الله
جميعاً ، وعدم التفرق ، والاخوة ..
٢ - الارشاد إلى منابع الألفه . وما يسببها : من بر ، وصلة ،
وهديه ، وزياره ، ونحمة ..

٣ - توجيه الانسان إلى ما يتر النظم . ويفسد التأليف : من غيبة
ونحمة ، وحسد ، وسباب ، وعقوق .. ثم ينهى عن ذلك نهياً لا هوادة

فيه ، كما يأمر بما يسبب الالفة أمراً مؤكداً لا يرضى به بديلاً .
والفرحين ينظر الآثار - كلا على حدة - تملكه الحيرة من
التأكيدات الواردة في البر والصلة .. والتهديدات الصادرة على العقوق
والقطيعة ..

لكنها حيرة غافل ، إن هذه الامور متشابكة مترابطة ، لا ينفصل
بعضها عن بعض ، وعن جميعها تتكون البشرية الراقية ، وتختلف كل واحد
سبب الدمار والهلاك ..

فهي أوصال المجتمع ، وأوردته وشرائنيه . فكما ان الانسان إن
فسد منه شريان ، أو قرض منه وريد ، فسد مزاجه ، وقد تكون عاقبة
امره الهلاك !!

وكما ان « الجهاز الباعث للتيار الكهربائي » .. اذا تضعف منه
وتد ، او انقطع منه خيط ، انطفئت المصابيح ، واظلمت المدينة .
كذلك مثل الانسان ، ومثل كل فرد من افراده ..
ونذكر بعض هذه الارشادات الاسلامية . في وجازة وتأثير ..

خُلُقُ الْفَرْدِ

أول لبنة المجتمع الفرد ، فبالفرد صلاحه ، وبالفرد فسادُه .
والامة النشيطة .. هي التي تنشط افرادها . والامة الخاملة .. هي التي تحمل افرادها ، فنشاط المجتمع بدون نشاط الافراد تناقض ، وخمول الامة مع عدم خمول افرادها اضداد ، فهو كمرض الأعضاء مع صحة الجسم ، او صحة الاعضاء مع مرض الجسم ، كلاهما ممتنع ، لا يكون !!
إذاً : فلخلق الفرد المدخلية التامة في خلق الاجماع ، ولذا يبتدئ كل مصلح في إصلاح المجتمع ، بتصقيل الأفراد ، وتجلية جنايا النفس الملتانة في كل فرد فرد .

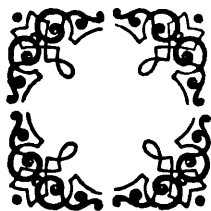
وهذا شأن الكون : فبالقطرات يجتمع البحر ، وبجبات الرمال تتكون الصحارى ، وبأفراد النجوم الزواهر ، تتكون السماء الوضاء ..

كما أن ذلك مبده تكون الأحزاب والمساكر .. فانها فرد ، ثم فرد ، ثم فرد ... حتى يتكون حزب قوي ، او جيش عرمرم ..

والفرد شهوات وميول ، ونزوات ونزعات ، ولاصلاح له إلا باصلاحها ، واخذ الوسط : لا إفراط ولا تفريط ، ولا سرعة ولا بطء .. فكل من الكبت المطلق ، والحرية المطلقة ، خروج عن الاعتدال ، وهوى في مهوى سحيق .

لا كبت ولا حرية ، بل عدالة ووسط .

والاسلام أول ما يعتني بالمجتمع ، يتوجه الى الفرد : يريه مواضع الزين والانحراف ، ويزين له العدل والنصفة ، ثم يدعمها بترييب وترهيب ، وثواب وعقاب ، حفظاً للفرد ثم المجتمع عن الانهيار والبوار ..



الكسل

من آفات الفرد الكسل ، إنه يهدم الشخصيه ، ويذوي زهرة العمر
النضر ، ويؤدي بصاحبه إلى الهلاك ، والتأخر في ميدان الحياة الفسيح ،
والكسالة خلق متعاقبة ، تتبع بعضها بعضاً ، فمن كسل عن شيء ،
لا ينفك حتى يكسل عن آخر .. وهكذا دواليك ، حتى يلتحق بالأموات
وهو يمشي على ظهر الارض ، فهو حطام آدمي لا ينتفع ولا ينتفع به ،
وحطام النبات أفضل منه ، إنه ينتفع به في ايقاد النار ..
وعكس ذلك النشاط فهو حياة وحياة .. وعمل وعمل .. فالنشاط
كالتبت في الارض الخصبة ، لا يزال ينمو : حتى يورق ، ويثمر ، ويثمر
متعة للعين ، ولذة في الروح ، وفيض للحياة ، ودفء وضياء ..
وما الآثار التي نربها بحيطه بنا ، من عمران ودور وجنات ، وانهار

ومدن ، ومصانع ومدارس ، وآلات وادوات .. إلا آثار النشاط .
قال الامام الصادق (عليه السلام) : « إياك وخصلتين ! الضجر والكسل ، فانك
إن ضجرت لم تصبر على حق ، وإن كسلت لم تؤد حقاً » .

إن الكسلان يعجز عن نفسه ، فكيف لا يعجز عن الحقوق ؟
و هو عبء ثقيل ، يمر عليه الليل وكأنه سنة ، والنهار وكأنه عام .
وغريب جداً : أن يمر النهار على النشيط مرور الطائرة في نهر السماء
الجاري ، حيث يزيد دفع النهر على دفع المحرك ، فيرى وكأن أعوامه
ساعات ، يلتهم الوقت إلتهام القمر الفضاء ، ويعكس الأمر عند الكسلان !
فيرى ساعاته أعواماً ، يلبث ويلبث .. حتى تمضي دقيقة !!!

وهكذا .. الساعة ، ثم ... اليوم ، ولا تحدث عن الاسبوع
والشهر والعام !!

ان اقل وصف للعالم عند الكسلان : « يومٌ كان مقداره خمسين
ألف سنة ! » .

الكسلان لا يضع نفسه فقط ، بل يضع حقوق الآخرين ، قال
امير المؤمنين (عليه السلام) : « إياكم والكسل ، فإنه من كسل لم يؤد حق
الله عز وجل » .

لا حق الله فحسب ! بل الحقوق اجمع ، قال امير المؤمنين (عليه السلام) :

« من اطاع التواصي ضيع الحقوق ، ومن اطاع الواشي ضيع الصديق » .
ولست عاقبة الكسالة إلا الائم ، فان الكسلان لا يؤدي الطاعة ،
فانها تستهلك النشاط والكسلان لا نشاط له ، قال الامام الصادق (عليه السلام) :
« قال لقمان لابنه : للكسلان ثلاث علامات : يتواني حتى يفرط ، ويفرط
حتى يضيع ، ويضيع حتى يائس » .

والكسول - في الحقيقة - حمل ثقيل على المجتمع ، اذ هو يصرف
حيوية الآخرين ، ولا يصدر حيوية ، ولا يلبث الا ويلفظه المجتمع
لفظ الفم النواة ، فيهون عليهم ، وان ضربت عليه سرادقات
الأموال و الانساب ، قال امير المؤمنين (عليه السلام) : « العجز مهانة ! »
انه ليس مهانة فقط ، بل مرض عام يشمل جميع الجسد ، ولذا قال (عليه السلام)
في حكمة اخرى له : « العجز آفة .. » .

وأية آفة : اعظم من آفة تترك حيوية العين والاذن واللسان ..
والقلب والدماغ والفكر .. شللا ، لا تتحرك بخير ، ولا تدفع سوءاً ، انها
آفة عجيبية !!!

وقد كان نبي الاسلام وعترته عليهم التحية والسلام ، من اروع
الأمثلة للنشاط والحيوية : هدماً وبناءاً ، حياة وعملاً ، جهاداً وعبادة !!
فهم خير أسوة حسنة لمن تبع ..

الطَّمَعُ وَالْحِرْصُ

من الآفات الفردية « الطمع ، والحرص !! » هما اخوان رضيعا لبانِ
ضعة النفس .

النفس اذا خفت طلبت شيئاً لتثقل معه ، حتى ترجح الكفة ، فهي
كالبضاعة اذا نقصت احتاجت الى ثقل معها ، لتعدل الميزان ، او ترجح
البضاعة !

والطامع والحرص يشعان بهذه الخفة في انفسهما ، فيطلبان ما يقع
به التوازن .

والطامع فقير مهما كثر ماله ، فان الفقر فقر النفس ، لا فقر
الجيب واليد !!

قال النبي (ﷺ) : « افقر الناس ذو الطمع ا » .

وانه لحق !! ان الفقير مهاجع او عرى لا يطلب الا ما يستر عورته ويشبع جوفه .. اياماً ، او اشهر ، او سنيناً .. وهي غاية طلبه ، اما ذو الطمع - وذو الطمع وحده - : هو الذي لا يرى امداً لطلبه ، فهو يطلب ويطلب .. ويحرص ويحرص ... حتى يكون مصداق قوله (طَبَعُ) : « لو كان لابن آدم واديان من ذهب ، لطلب وادياً ثالثاً .. » .

ولو سئلت الطامع الذي جمع مالا ونشأ يكفياه طيلة اعقاب سبع - لا هو وحده - : ما الذي تريد ؟ لم يكن له جواب : الا الفقر في النفس ، والخسة في الروح ، والنقص في القلب ..

ولو كشف باطن الطمع ، رؤي فيه كل ذل ومنقصة ! انه يقود المرء الى كل شيء .

قال الامام الباقر (عليه السلام) : « بئس العبد عبد له طمع يقوده ، وبئس العبد عبد له رغبة تذله » انه بئس العبد في الحقيقة !

الطمع يقوده الى الذلة ، والحقارة . والحسد ، والحقد ، والعداوة ، والغيبة ، والوقعة ، وظهور الفضائح . والظلم ، والمداهنة ، والرياء ، والنفاق وعدم الرضا بالقسمه ، والاتكال على الباطل ... !!

انه طمع فليسهل في سبيل إشباعه كل رذيلة ..
وإلى هذا يشير الامام علي بن الحسين (عليه السلام) حيث قال : « رأيت

الخبر كله قد اجتمع في قطع الطمع عما في أيدي الناس ، لا يظلم لدرهم ، ولا يدهن لدار ، ولا يذل لمطمع ..

و بعد هذا : لا يحتاج إلى فكر وتخرّيج وجه الجواب الذي أجابه الامام الصادق (عليه السلام) لـ « أبان » ، قال « أبان بن سويد » قلت : ما الذي يثبت الإيمان في العبد ؟ قال : « الذي يثبت فيه « الورع » والذي يخرج منه « الطمع » .

إنه لا إيمان لذي الطمع ! وأي إيمان له وهو يرتكب كل محظور لاشباع نهمة طمعه ؟!

إن الاسلام يريد أن يكون الفرد امثولة في الغنى النفسي ، قبل الغنى المالي ، فلا يطمع حتى يسلك به الطمع مسالك الذلة والمهانة ، والسؤال .. حتى عن أكبر شخص ، حتى عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) !

نعم : حتى عن النبي !!

قال الامام الصادق (عليه السلام) : « قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : من سئلنا أعطيناه ، ومن استغنى أغناه الله » .

وأية نسبة بين إغناء الله وإعطاء الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ؟ ! إنها نسبة الواحد إلى مائة ألف أو أبعد !!

في قطع الطمع خير الدنيا بالعز والسعادة ، والاعتماد على النفس ،
والرضا بالقسمة وخير الآخرة بالثواب الحسن ، وبالجزاء الجميل . .
قال الصادق (عليه السلام) : « إن أردت أن تقر عينك ، وتنال خير
الدنيا والآخرة ، فاقطع الطمع مما في أيدي الناس . » .



* * *

حُبُّ الظُّهُورِ

و لنفرض أنه اعتلا ، واشير إليه بالبنان : أنه يملك .. إنه وزير ..
إنه عليم .. فماذا بعد ذلك ؟

لو عمل وكد ، وجد واجتهد ، وحالفه القدر .. أتاه كل شيء
قُبلا ، أحب أم كره ، وما ينفعه الحب لو قعد به العمل والجد ، إلا
اضطربا في الفكر ، وقلقا في النفس ، وسهرا وتعبا ..

إن حب الظهور نبت ينمو - غالباً - في النفوس المريضة ، كما ينمو
الزروع الخبيث في الاراضي العفنة ، وكل من أحب الظهور يجره حبه الى
هذا الى مفسد ورذائل .

وكم رأينا في أيام الانتخابات في الحكومات الفاسدة ، مرشحين
يدئبون ليل نهار بكل وسيلة وضيعة لنيل كرسي الظهور - ولا اسميه

كرسي الامة - ١

والدنيا وان كانت موزعة بين هؤلاء وغيرهم ، بل ربما كان للفريق الأول النصيب الأوفر ، الا أن الآخرة تخص الفريق الثاني فحسب . . .

يقول الله تعالى في القرآن الحكيم : ﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض . . . ولا فساداً . . . والعاقبة للمتقين ﴾ .

فكل من أراد علواً ، أو أراد فساداً ، لانصيب له من الآخرة !!

ان حب الظهور رأس سلسلة من الاجرامات ، ولو نظر الشخص الى كثير من رؤساء الحكومات العفنة ، لراى أن كل فساد يصدر منهم من : قتل الابرياء واعتقال الناس بغير حق ، وخيانة الشعب ، وابتزاز الاموال المحرمة . . . من آثار حب الظهور ، واشتهاء كرسي الحكم والامارة !!

وليس عبثاً أن يبالغ الاسلام في منع تطلب الرياسة ، وذم طلابها .

قال أبو الحسن (رحمه الله) : « ما ذئبان ضاريان في غنم قد تفرق رعائهما ، بأضر في دين المسلم من طلب الرياسة ! » .

ان الذين يهلكان أغناماً معدودة - على أكثر الفروض - وطلاب الرياسة يهلكون امماً بأكملها ، ويفسدون الزرع والضرع !!!

ان الأمر لا يقف عند هذا الحد ، بل ذاك أعظم بكثير .

قال الامام الصادق (رحمه الله) : « ملعون من ترأس ، ملعون من هم

بها ، ملعون كل من حدث نفسه بها !! » .

ولكن ليس معنى ذلك ، أن يجتنب الأكفاء مقامهم ، ويخلوها
للمفسدين ، إن هكذا فهم اعوجاج في فقه الدين ، وزينغ عن مقصد
الأحاديث ، إن معنى ذلك أن يتطلبها من ليس لها بأهل - كما هو كذلك
في الكثرة الغالبة ممن يتبوء مبهوء الرؤساء - .

أما أن يطلبها من يريد الإصلاح والارشاد ، دون رياء أو شهوة
سمعة .. فانه طلب الحق لاقامة الحق ، وإليه أشار الحديث : « من طلب
الرياسة لنفسه هلك ، إن الرياسة لا تصلح إلا لأهلها » .

« قال سفيان بن خالد : قال أبو عبد الله (عليه السلام) - يعني الصادق - :
إياك والرياسة ! فما طلبها احد الا هلك . فقلت له : جعلت فداك ! قد
هلكنا إذا !! ليس احد منا إلا وهو يجب أن يذكر ويقصد ، ويؤخذ عنه ؟!
فقال : ليس حيث تذهب ، إنما ذلك : أن تنصب رجلا دون الحجة ،
فتصدقه في كل ما قال ، وتدعو الناس إلى قوله » .

والرجل دون الحجة : هو الذي لا يليق ، أما اللائق فهو الحجة
الذي ينبغي أن يقتدي بأعماله .

وقد حكى الله تعالى قوله خيار عباده الصالحين الذين يقولون :
« واجعلنا للمتقين إماما » .

اِكْبَارُ النَّفْسِ

كل صغير يرى نفسه كبيراً ، وذلك دليل صغر النفس ،
وضعة الروح !

فالنفس يصيبها ما يصيب العين - أحياناً - من قصر النظر ، فيرى
القريب ؛ ولا يرى البعيد !

والانسان مجبول على تكبير نفسه ، وتزيين عمله ، مهما ضل وقبح .
وكما قويت هذه النزعة في النفس ، انحطت . وخف وزنها ،
وضعف عملها . .

وكما انعكس الامر ، فرأى نفسه صغيراً ، وعمله حقيراً ، ثقلت ،
وابتعد همتها ، وقصى نظرها ، فهو ينشد الكمال دائماً ، ويطلب الرقي أبداً ،
حتى يصل .

« ان من جد على الرب وصل » .

ويقال : ان هذا الشعور هو سر تقدم الماؤفين : كمن به عرج او عى او .. لانه يرى نفسه ناقصاً أمام الناس ، فيدئب لكن يثقل وزنه علماً وأدباً و . و . حتى يعلو نجمه ، ويرتفع قدره ..

وقد حارب الاسلام هذه النزعة أشد المحاربة ، حرصاً منه على ترفيع المجتمع ، وترقية الأفراد ، وقد استغرب القرآن نزكية المرء نفسه ، قال تعالى :

« ألم تر الى الذين يزكون أنفسهم؟! بل الله يذكي من يشاء !! »
ونهى المسلمين نهياً صريحاً عن تزكية انفسهم ، فقال - بعد ما عرض بضعفهم السابق للماعا الى ضآلتهم ، وتذكيراً لضعفهم - :
« هو أعلم بكم : اذ أنشأكم من الارض ، واذ أنتم أجنة في بطون امهاتكم . فلا تزكوا أنفسكم ! هو أعلم بمن اتقى ! » .

قال رسول الله (ﷺ) : « لا تحمقروا شيئاً من الشر وان صغر في أعينكم ، ولا تستكثروا الخير وان كثر في أعينكم .. » .

والحكمة في ذلك واضحة ، فان كل شيء صغر في عين الانسان آتى بما فوقه ، وكل شيء كبر في نفسه ، لم يأت بما فوقه ، فان استصغر الشر آتى بشيء آخر ، وان استكثر الخير لم يأت بخير أكبر ، وكلاهما مفسدة للدنيا والدين !!

وقد جمع الامام الصادق (عليه السلام) كل ذلك في كلمة رائعة يحكيها عن الشيطان قال : « قال ابليس - لعنه الله - لجنوده : اذا استمكنتم من ابن آدم في ثلاث ، لم ابال ما عمل ، فانه غير مقبول منه ! : اذا استكثر عمله ونسى ذنبه ، ودخله العجب !! »

وليس العجب دائر في فلك العبادة - كما يرتثيه كثير - فان العجب مذموم في كل مجال :

مجال العبادة والابتغال ، مجال العلم والثقافة ، مجال الصناعة والاختراع ، مجال الزعامة والرئاسة ..

ولذا أطلق الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) كلمته الرائعة :

« العجب هلاك ، والصبر ملاك !! »

لكن ليعلم الفرق بين أكبار النفس والعمل ، وبين علو الهمة ، ان الثاني من الفضائل ويصاحبه الاعتزاز بالنفس ، لا اعتزاز المعجب الخوار ، بل اعتزاز العامل العملاق ، بخلاف الاول فانه رذيلة مردية ، طال ماتودى بصاحبه ، وتسقطه عن الحيوية والنشاط .

يقول الامام السجاد (عليه السلام) في دعائه المسمى بـ «مكارم الأخلاق» :
« اللهم صلي على محمد وآل محمد وحلني بحلية الصالحين ، وألبسني زينة

المتقين ، في بسط العدل ، وكظم الغيظ ..
واستقلال الخير وان كثر ، من قولي وفعلي ، واستكثار الشر
وان قل ، من قولي وفعلي .. » .
انه طموح وعلو همة ، وتخلية للنفس عن شوائب زائفة ، وفرق
بينه وبين الاكابر الطائش .



العلم

العلم فضيلة ، وان نبت الشخص في بيداخال عن الأنيس الى حين مماته ، والجهل رذيلة ، وان حفت بالجاهل هالة من شرف الآباء ، واثقال النسب ، ورفعة الجاه . .

الجاهل خفيف الميزان ، ثقيل المجلس ، مبتعد المنطق . .
والعالم قريب رحيب ، وقود مرتفع ، وان نزلت به الأنساب ، وتفرقت عنه الأسباب . وهو ذو قيمة ، وان لم يعرفه الجاهل ، كما أن العسجد ثمين وان صار لعبة طفل ، او دربة مجنون . .

وما أروع كلمة الامام امير المؤمنين (عليه السلام) وأتمنها - في وصف العلم - :

« قيمة كل امرء ما يحسنه » وأعظم بها من كلمة لا تقدر بقدر

ولا تثنى بثنى ..

وليس عجباً ان لم يعرف القرآن العلم ، بل جعله موضع سؤال :

« هل يستوي الذين يعلمون ، والذين لا يعلمون ؟ »

انه سؤال مغزاه أكبر من كل تعريف .. وصدق هذا : ان يوزن

الشخص هذه الجملة القصيرة ، مع كل ما جاء فى العلم من فضل ومنفعة ،

انه يجد هذه اثقل من تلك ..

ومن راجع شرائع السماء ، وانظمة الارض ، لا يجد عشر معشار

ما يحمد فى الاسلام من الحث على العلم ، وايجاب طلبه ، وتعداد

الثواب العظيم لطالبه .

انه علم ، وكفى ، وضده جهل ، وكفى . لا يحتاج الى منطق ، ولا

يريد سوق دليل .

وان علمنا : ان العلم بحر لا يحيد ، وادركنا : ان رؤوس العلوم

- فى عصرنا هذا - يبلغ مائة وثلاثين : التي واحد منها علوم

العربية بأجمعها ..

عرفنا سبب قول الرسول ﷺ : « العلم من الهدى ،

إلى اللحد » .

وان هذا الوقت لقليل ، وقليل جداً ١٠٠

والعلم بغية يلزم تحصيلها ، ولو في أقصى الارض ، وإن كان في
مغارة جبل ، أو كهف ، فانه كمال لا مثيل له ، ولذا يقول الرسول
المعظم (ﷺ) :

« اطلبوا العلم ، ولو بالصين » ! إذ كانت الصين آن ذاك أو آخر
المعمورة ، وكان طي المسافة اليها من أصعب الأسفار ..

والعلم ليس آلة هدم وخراب ، وقتل وحرق .. كما يستخدمه
بعض أفراد البشر ! إنه آلة ضياء وإنسانية ، وسراج وهاج يهتك
ظلمات الآفاق ..

وما أجمل رائعة النبي (ﷺ) :

« طلب العلم فريضة ! » إن الفريضة ، يؤتى بها الله ، فهي من
الله ، وإلى الله ، والله لا يأمر باظلم :

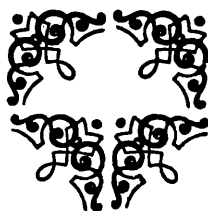
« ان الله يأمر بالعدل ، والاحسان ، وإيتاء ذي القربى ، وينهى عن
الفحشاء والمنكر ، والبغى » .

فالعلم الذي يطلب - في نظر نبي الاسلام - هو العلم الذي يخدم
البشر ، لا الذي يدمر البشر !!

وكما اتسعت دائرة العلم ، تقلصت آفاق الجهل ، كما انه كلما اتسع
الضياء انكشف الظلام ، اجل : كان انكشاف سعة الجهل بسعة دائرة العلم ،
فلو فرضنا ان الانسان يحيط به علمه كان كلما زاد المحيط سعة ، ازداد
دركه لما وراء المحيط توسعة ..

والى هذا يشير بعض العلماء ، حيث يقول :

« كلما ازدادت علماً ، ازدادت جهلاً »



بين أفراد العائلة

وبعد ما يضع الاسلام اللبنة الاولى في بناء المجتمع وهو الفرد ،
ويحكم صنعه ، يتوجه الى ادب الجماعة ، فيبين لها حدودها ، ويرشدها الى
خيرها وشرها ، ورقياً وانحطاطها ، اذ الجماعة - العائلة - هي في الدرجة
الثانية من الامة ، وبصلاح العوائل تصلح وبفسادها تفسد .

فتتقى العائلة ، وتوجيهها الى الرشاد ، تقع في منتصف الطريق ،
بين صلاح الفرد والمجتمع : الفرد ، ثم العائلة ، ثم المجتمع .

ولما كان للعائلة ادب خاص ، وميزات مخصوصة .. ارصد لها
الاسلام شطراً مهما من التخطيط والتحديد ، وعين لها اوامر ووظائف ..
من اب يعطف ، واولاد يبرون ، وام تحن ، واخوة يتواصلون ،
وزوج يحسن ، وزوجة تطيع ..

والعائلة - او بعبارة اجود : المجتمع الصغير - وان كانت قد تتألف

من غرباء ، لا يربطهم وشيجة رحم ، ولا يجمعهم قربى ، الا ان مثل هذا لا يكون مورد تعديل وتعريف اكثر مما يكون المجتمع الكبير . فعلم اعتناء الاسلام بمثله الا بنحو العموم ، لا مأخذ عليه .

وحيث ان العائلة - في كثير من الاحيان - تكون مهب عواطف الشقاق ، وموضع نزوات الميول الزائفة ، كان تأكيد الاسلام في حقها اكثر من تأكيدها بالنسبة إلى الامة .

والعائلة وان كانت تتكون بادیء ذي بدء من الزوجين والاولاد الا ان الأرحام الذين اجتمعوا في رحم عليا ، ايضاً ، مورد تحديد الاسلام وتخطيطه ، بحدود يخصصها دون المجتمع ، فهناك صلة رحم يتأكد في حقها ، ولها من الحقوق اكثر من غيرها ..



* * *

الوالد والولد

يحتل الوالدان الصف الاول في القربى ، كما يَحتملان في الأغلب :
النصيب الأوفر من التعب ، وللام نصيبها المفروض من الحمل والرضاع
والمشقة والسهر .. كما ان للاب حصته المعينة من الكد والمكسب ..
للرزق والترفيه ..

فالولد موزع النصيب بين اب رحيم ، وام حنون ، وان
اختص كل بشطر يغير شطر أليفه .

والأبوان هما السبب الأول في وجود الأولاد - حسب ما جرت
الحكمة العليا ، في أن يجعل لكل شيء سبباً - .

إذاً : فلا غرابة في أن يختصا بعطف زائد ، فاطاعة معروفة ..
من الأولاد ، إذا بلغوا أشدهم واستوا .

إنها واجبات على الأولاد تتكافى حقوقاً عليهم ، كما أن تنشئتهم من الأبرين حقوق لهما تكافى بواجبات عليهم ، لا إفراط ولا تفريط : تعب ، ونصب ، ورزق ، وكسوة .. تقابل : بطاعة ، وإحسان ، ولين ، وعطف وقد شاء الله تعالى - حسب عدله المنظم - أن يكون نشيء الأولاد وتكونهم إندفاعاً من الأبرين ، ورغبة والحاحاً ، فالباشرة غريزة لا تزم ، والحمل طبع لا يتخلف إلا بعوائق ، والحب والعطف .. سجايا منطبعة ... وذلك بخلاف توجه الأولاد نحو الأبرين ، إنهم بعد لا شيء يغنون عنها ، ويرثون آراء خاصة : كثيراً ما تكون غريبة بالنسبة إلى آراء الأبرين .. لذا : كان تأكيد الإسلام في البر والصلة منصباً على الأولاد ، وعلى الأولاد فقط .. فانهم هم - وحدهم - يتبرمون بالمنعم عليهم .. أما الآباء فتوصيتهم بالنسبة إلى الأولاد تقع عفواً ، أو في هامش الشريعة .

وغاية ما يراد منهم : تربية حسنة ، وتسمية - قبل التربية - جيدة ، وتزويج كريم .. فقط !!

ومن الظريف : أن كل هذا يرجع إلى منفعة الأولاد :

إسم كريم ، وأدب رفيع ، وزوج مباركة ..

لمن هذه ؟

للأولاد، وللأولاد فقط ..

وقد جعل القرآن نصيب الوالدين من البر والأحسان ، بعد تعظيم الله وطاعته ، إشارة إلى عظم هذا التكليف ..

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ : لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ
وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ .

ليس هذا لاسرائيل فحسب ، بل هو لامة عيسى ﴿ عَلَيْهِ السَّلَام ﴾ أيضاً ،
محكى قوله ﴿ عَلَيْهِ السَّلَام ﴾ :

﴿ وبرأ بوالدتي ، ولم يجعلني جباراً شقيماً ﴾ .

ولامة محمد ﴿ ﷺ ﴾

﴿ قل : تعالوا ، أتتل ما حرم ربكم عليكم : أن لا تشركوا به شيئاً ،
وبالوالدين إحساناً .. ﴾

ولناس اجمعين :

﴿ ووصينا الانسان بوالديه حسناً ﴾ .

« ووصينا الانسان بوالديه ، حملته امه وهنا على وهن ، وفصاله في
عامين : أن اشكر لي ولوالديك ، الي المصير ... » .

وهذه الآية جمعت بين جانبي الاستعطاف والتهديد ، بأبلغ بيان
ترقيقاً للمشاعر ، ونخويفاً للمتكاسلين :

أليست الام هي الحاملة في وهن كثير، التابعة لهذا الحمل الثقيل؟
وأليست هي - بعد الحمل - لانجاة لها؟ انه دور الرضاعة

البالغ عامين !

انه مدة طويلة ١٠٠

ثم أليس المصير الى الله الذي يجازى المحسن بالأحسان ، والمسيء
- بالأخص الى والديه - بالاساة؟؟

إذا ، فالشكر واجب ، ولمن لم يفعله سوء المصير . .

ثم تفسير الآية شوطاً أبعد ، وأبعد بكثير . . .

ان الاسلام لا يحترم المشرك ، انه اعظم الناس جرماً ، يشرك بمن

خلق ورزق و . . فلا يستحق تقديراً ابداً . .

لكنه - كيف الصنيع؟ والمشرك والد ١٠٠

إذا : يلزم الأحسان اليه ، لأن الله مقدر الرحمة ، وعدل أي

عدل؟! لا يضيع عمل عامل حتى اذا كان مشركاً ١٠٠

﴿ . . . وإن جاهدك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم ،

فلا تطعها !

وصاحبها في الدنيا معروفًا ١٠٠ ﴾ .

والام أولى بالبر والرحمة من الأب ، إنها تحمل وترضع وتسهر...

قال الامام الصادق (عليه السلام) : « جاء رجل إلى النبي (ﷺ) ، فقال : يا رسول الله ، من أبر ؟ قال : امك . قال : ثم من ؟ قال : امك . قال : ثم من ؟ قال : امك . قال : ثم من ؟ قال : أباك . فبر الأم ثلاث أضعاف بر الأب . »

والبار مورد تقدير الرسول (ﷺ) أكثر من غيره ، وكما ازداد الولد برآ ، كان تقدير النبي (ﷺ) وتمظيمه له أكثر .

قال عماد بن حيان : خبرت أبي عبد الله (عليه السلام) يبر اسماعيل أبنى بي فقال : « لقد كنت احبه ، وقد ازددت له حباً . إن رسول الله (ﷺ) أتمته اخت له من الرضاعة ، فلما نظر إليها سر بها ، وبسط ملحفته لها . فاجلسها عليها ، ثم أقبل يحدثها ، ويضحك في وجهها ، ثم قامت فذهبت . وجاء أخوها ، فلم يصنع به ما صنع بها . فقيل له : يا رسول الله ، صنعت باخته ما لم تصنع به - وهو رجل - ؟ فقال : لأنها كانت أبر بوالديها منه ! »

وان من كبر حق الوالدين . في نظر الاسلام ، ما يقدم البر على الجهاد : الجهاد الذي هو ركن من أركان الدين ، ودعامة يبنى عليها الاسلام !!

قال الامام الصادق (عليه السلام) : « أتى رجل رسول الله ، فقال : يا رسول الله ، اني راغب في الجهاد نشيط . فقال له النبي (ﷺ) فجاهد في

سبيل الله ، فانك ان تقتل تكن حياً عند الله ترزق اوان تمت
فقد وقع أجرك على الله ، وان رجعت ، رجعت من الذنوب كما ولدت ،
قال : يا رسول الله . ان لي والدين كبيرين ، يزعمان أنها بأنسان بي ،
ويكرهان خروجي . فقال رسول الله (ﷺ) : ففر مع والديك !
فوالذي صنعتني بيده : لانسهما بك يوماً وليلة خير من جهاد سنة ۱۱۱ » .

وليس البر مقصوراً على شيء خاص ، بل يشمل حتى النظر
والكلام .. وما اليهما ، بل وأبعد من ذلك مما يثير الدهشة :

قال الامام الصادق (عليه السلام) - في تفسير قوله تعالى : « أما يبلغن
عندك الكبير أحدهما أو كلاهما ، فلا تقل لهما اف ! ولا تنهرهما ... » .

: « ان أضجراك ، فلا تقل لهما اف ! ولا تنهرهما ان ضرباك ! قال
(وقل لهما : قولاً كريماً) : ان ضرباك ، فقل لهما : غفر الله لكما ! فذلك
منك قول كريم . قال (واخفض لهما جناح الذل من الرحمة) : لا تملأ
عينيك من النظر اليهما ! الا برحمة ورقة ، ولا ترفع صوتك فوق أصواتهما !
ولا يدك فوق أيديهما ! ولا تقدم قدامهما ۱۰۰ » .

انه حقّادين يأمر بالعدل والاحسان ، انه حقّادين الاسلام والسلام .
انه عطف يشمل الجماد والنبات ، أفلا يشمل الانسان ?? خصوصاً الوالدان
عرفا الحق ام لم يعرفا ! ان عرفان الحق يفيد الانسان في الآخرة ، ويصلح

شؤونه في الدنيا - بالنسبة الى الشخص نفسه - اما الأولاد فيجب عليهم البر - انها ابوان ، وكفى !..

قال معمر بن خلاد : قلت لأبي الحسن (عليه السلام) : ادعو لوالدي اذا كانا لا يعرفان الحق ؟ قال : « ادع لهما ! وتصدق عنهما ، وان كانا حين فدارهما ، فان رسول الله (ﷺ) قال : ان الله بعثني بالرحمة ، لا بالعقوب ! » .

قال مصعب : قال أبو جعفر (عليه السلام) : « ثلاث لم يجعل الله عز وجل لاحد فيهن رخصة : اداء الأمانة الى البر والفاجر ، والوفاء بالعهد للبر والفاجر ، وبر الوالدين برين كانا او فاجرين » .

انه بعد ذلك : ليس مبالغة ان يكون البر من الاسباب الظاهرة لدخول الجنة ، والعقوب من العلل البارزة للاقتحام في النار .

قال أبو الحسن (عليه السلام) : « قال رسول الله (ﷺ) : كن باراً واقتصر على الجنة ، وان كنت عاقاً فاقصر على النار ! » .

لا يدخل الجنة : انه طبعي ، واكثر .. إنه لا يجد ربح الجنة .. قال الامام الصادق (عليه السلام) : « إذا كان القيامة ، كشف غطاء من أغطية الجنة ، فوجد ريمهان كانت له روح ، من مسيرة خمسمائة عام ، إلا صنفاً واحداً ! قلت : من هم ؟ قال : العاق لوالديه . » .

واللعوق مراتب أكبرها القتل .. وأصغرها نظر الميت ..
وقولة اف ..

قال الامام الصادق (عليه السلام) : « قال رسول الله (ﷺ) !
فوق كل ذي بر بر ، حتى يقتل الرجل في سبيل الله ، فاذا قتل في سبيل الله
فليس فوقه بر ، وإن فوق كل عقوق عقوقاً ، حتى يقتل الرجل أحد
والديه ، فاذا فعل ذلك ، فليس فوقه عقوق » .

وقال (عليه السلام) - في حديث آخر - : « من نظر إلى أبيه نظر
ماقت - وهما ظالمان له - لم يقبل الله له صلاة » وقال (عليه السلام) : « لو علم
الله شيئاً أدنى من اف ، لنهى عنه ، وهو أدنى العقوق .. » .

وهذا الحديث يستحق تأملاً كبيراً ، وبالأخص : « وهما
ظالمان له » ... !

والبر لا يخص الحياة ، بل هو كذلك بعد الموت . تحفظاً على أوامر
الصلة حتى بين الأحياء والأموات ، فإن الروح باقية ، ويتطلع الميت على
أقربائه ، وبالأخص الأولاد ..

قال أبو جعفر (عليه السلام) : « إن العبد ليكون باراً بوالديه في
حياتها ، ثم يموتان فلا يقضي عنهما دينهما ، ولا يستغفر لهما ، فيكتبه الله

عز وجل عاقاً ، وإنه ليكون عاقاً لها في حياتهما غير بار بهما ، فاذا ماتا ، قضى دينهما واستغفر لهما ، فيكتبه الله عز وجل باراً »

والكتاب والسنة في صدد البر ومدحه ، والعقوق وذمه ،
دائبان !

إنه حجر الزاوية في المجتمع ، فليكن له من التأكيد والاصرار
حد كبير !!



* * *

الزَّوجُ

تنظم الامة أول انتظامها من زوج وزوج ، كل واحد منهما شق ، وكل واحد منهما مصراع ، فاذا اجتمعا توافق الشقان ، وكل المصراعان !

وبالتفاف أحدهما بالآخر صد للنوازل ، ودفع للفحات الحياة السامة ..

وعجيب أمر الاسلام ! وحقيقة عجيب !!

إنه حد لهذا الأمر حدوداً ، وخط له خطوطاً في غاية الدقة ، من البدو إلى الختم .. في كل خطوة ، وكل حالة ، ولم يغفل عن صغيرة أو كبيرة إلا أحصاها ، وأرشد الى الخير ، وهدى إلى السعادة ، ووجه نحو عيش أفضل ، ومثل عليا ، إستنبأ بالانظام العائلة ، وتهذبا لنفوس الأولاد ، وترقية لمستقبل الاجيال !..

الاسلام يريد الهدوء ، ودفء الحياة ، وضياء الحب ، وبلهنية

العيش ..

بالنسبة الى الزوجين .

ويريد سلامة الأ ولاد عن الأ مراض والعاهاات ، وطهارة أنفسهم .

ورقة عواطفهم ، وحسن أديهم ، ونشاط روحهم ..

ويريد رقي المحيط ، وسلامة المجتمع عن الفقر والمرض والجهل ،

وحفظه عن الفساد والالتواء والزيف ..

ان كل ذلك بالزواج - أولا - وبانتقاء كل من الزوجين - ثانياً -

المرض الزهري .. والفساد والالتواء الخلقي .. تنشأ - غالباً -

من العزوبة ..

والعيش الرغيد والحب والدفء .. وسلامة الأ ولاد وطهارتهم ..

تنشأ - في الحالات الكثيرة - من جراء عدم الانتقاء الحسن والكفاه

في الزوجين ..

بقي الجهل والفقر ، والزواج الحسن كفيل بدحضهما ..

الزوجان يتعاونان في الحياة ..

والتعاون أساس الغني والعلم ، ومن ذلك يعرف معنى قوله تعالى :

« وانكحوا الأ يامى منكم ، والصالحين من عبادكم وامائكم .. ان

يكونوا فقراء يغنيهم الله من فضله ١٠٠٠ »

ومن الحق : أن اقول : إني كلما أنظر إلى الآثار الواردة في
النكاح ، وأبوابه الكثيرة .. تملكني الدهشة : كيف أرشد الاسلام إلى
جميع ما فيه الصلاح فهذه الناحية المهمة من الحياة ، وحذر عن مواضع
العطب والهلاك ، والفساد والخيال ؟ ثم الاسلام بواد .. والمسلمون بواد ..
ولسنا الآن بصدد هذا البحث ، فله موضع خاص ، وكتاب منفرد ،
إنما المهم بيان نظر الاسلام إلى كيفية التعايش الهنيء بين الزوجين ،
في جو من الأخلاق الفاضلة ، والسماح الكريم ..

فلمرأة احترامها البالغ ، وللرجل احترامه المؤكد ، وكل منهما
لاصق بالآخر لصوق اللباس بالبدن « هن لباس لكم ، وأنتم لباس لهن »
كما يقول القرآن الحكيم .

فكل منهما بالنسبة إلى الآخر كاللباس بالنسبة إلى الجسد يقي الحر
والبرد ، ويحفظ السوئية ، ويتمتع به ، ويلتذ بلمسه ، ويرى - استعادة -
من البدن ما لا يراه غيره .. وكما يحفظ الانسان باللباس ، فيلزم عليه
حفظ لباسه تحفظاً على نفسه ، كذلك الزوج ..

وقد استنكر رسول الله (ﷺ) قسوة الجاهلية ، حيث كانوا
يضربون المرأة ! لبعه

قال الباقر (عليه السلام) : « أ يضرب أحدكم المرأة ، ثم يظل معانقها ؟ ! »
إن العناق اية الحب ، والضرب دليل نضوب معينه فكيف
يجتمعان ؟

إن اللازم على الرجل أن يجعل زوجه بمنزلة الحبيب ، وأكثر ..
بمنزلة اللعبة ، حتى يستأنس بها وتستأنس به ، فبالحشمة تسقط المودة ،
وينقلب الحب الطاهر شهوة حيوانية فحسب .

قال الصادق (عليه السلام) : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « إنما
المرأة لعبة ، من اتخذها فلا يضيعها » .

ما أرقها من عبارة ، وأحسنها من تشبيه ؟ يفيض منها الخنان
والمعطف ..

والمرأة في نظر أمير المؤمنين (عليه السلام) : الامام العملاق المجاهد
الزاهد .. ريحانة : للشم والعصر واللذة والحب ، فلا تفرك ، والا ذرت ،
ولا تترك تصيبها لفحة ، فتذبل .

قال الامام الصادق (عليه السلام) : « في رسالة أمير المؤمنين إلى
الحسن عليه السلام - أو إلى ابنه محمد بن الحنفية ، على الاختلاف - :
لا تملك المرأة من الأمر ما يجاوز نفسها ، فإن ذلك أنعم لحالها ، وأرخص
لبالها ، وأدوم لجمالها ، فإن المرأة ريحانة ، وليست بقهرمانة ... فدارها

على كل حال ، وأحسن الصلابة لها ليصفوا عيشك »
وقد استعطف الاسلام الرجال نحو النساء ، في قوالب عاطفية ،
وعبارات رقيقة . استجلاباً للرحمة ، واستمطاراً للود والالفة ..
قال رسول الله ﷺ : « خيركم خيركم لأهله ، وانا
خيركم لأهلي » .

وقل ﷺ : « عيال الرجل اسراؤه ، واحب العباد إلى
الله عز وجل احسنهم صنعا الى اسراؤه »

وقال الصادق عليه السلام : « اتقوا الله في الضعيفين ! يعني بذلك
اليتيم والنساء »

وقال (عليه السلام) : « أكثر أهل الجنة من المستضعفين : النساء ، علم الله
ضعفهن فرحمهن » .

انه ليس هذا فحسب ، بل حب الزوجة من علامات الايمان ،
وأخلاق النبي (ﷺ) خاصة ، والأنبياء عامة ، وشارة ولأمة
الأطهار ...

قال الامام الصادق (عليه السلام) : « قال رسول الله (ﷺ) : ما أحب
من دنياكم الا النساء والطيب » .

وقال (عليه السلام) : « قال رسول الله ﷺ جعل قرعة عيني في الصلاة ،

ولذني في النساء !

وقال « عليه السلام » : « من أخلاق الأنبياء حب النساء ! »

وقال « عليه السلام » : « كل من اشتد لنا حباً اشتد للنساء حباً ! » .

وقال « عليه السلام » : « ما أظن رجلاً يزداد في هذا الأمر خيراً ،

إلا ازداد حباً للنساء ! »

وقال « عليه السلام » : « كلما ازداد العبد للنساء حباً ، ازداد في

الايمان فضلاً ! » .

إنه الاسلام الذي يريد ديناً ودنياً ، وروحاً وبدناً ، وعلماً وعملاً ،

وأخرة وأولى . . إنه الاسلام الذي لا يغفل عن جانب ليزيد في جانب ،

ولا يترك مطالب الجسد ، لمطالب الروح ، او بالعكس !!

إنه الاسلام الذي لا يرى للدنيا طريقاً والدين طريقاً مضاداً ،

حب النساء دين ودنيا ، وحسن العشرة دين ودنياً ، والصلاة والزكاة

والحج . . دين ودنيا . لا رهبانية ، ولا مادية !!!

إنه الاسلام الذي يؤكد حب النساء ، كي لا تفتح المواخير ،

وتذهب الأعراض ، وتسري الأمراض ، وتذبل زهرة الفتيان والفتيات

بالطرق الملتوية . ويسوء عيش العائلة ، ويكدر صفائها شقاق . .

فلا غرابة إذاً من هذا التأكيد العجيب ، لكنه عجيب - في نظر

الاحول - لا صحيح العين .

ان غير هذا عجيب !!

وانه ليس حب مجرد ، بل حب يظهر أثره حتى ان المندوب
التصريح بذلك للزوجة !

قال رسول الله ﷺ - فيما يرويه الامام الصادق عليه السلام :
« قول الرجل للمرأة : اني احبك ، لا يذهب من قلبها ابداً »

* * *

ومن طبيعة الاسلام المرأة : ان تتكافى الحقوق ، وتقسم الواجبات ،
فللرجل على المرأة ما للمرأة على الرجل ، يقول الله تعالى :
« ولهن مثل الذي عليهن » .

قال موسى بن جعفر (عليهما السلام) : « جهاد المرأة حسن التبعل » .
وقال أبو جعفر « ع » : « قال رسول الله ﷺ للنساء :
لا تطولن صلواتكن لئمنعن ازواجكن » وفي معناه ما عن الصادق - ع -
« نهى رسول الله ﷺ النساء ان يتبتلن ويعطلن انفسهن من الازواج »
وقال - ع - : « ايما امرأة باتت وزوجها عليها ساخط - في حق - لم
يتقبل منها صلاة ، حتى يرضى عنها » .

وقد حدد الاسلام موقف كل من الزوجين تجاه الآخر ، وأن

الأذية سواء صدرت عن الزوج أو الزوجة كانت لها من العقاب شدة وقسوة ، تصفية للجو ، وإخلاء للبيت عن الأذى وتبعيدياً للعائلة عن التبر والانفصال ..

قال رسول الله ﷺ : « من كانت له امرأة تؤذيه ، لم يقبل الله صلاتها ، ولا حسنة من عملها ، حتى تعتبه ورضيه ، وإن صامت الدهر وقامت ، وأعتقت الرقاب ، وأنفقت الأموال في سبيل الله ، وكانت أول من ترد النار . ثم قال ﷺ وعلى الرجل مثل ذلك الوزر والعذاب إذا كان لها مؤذياً .. »

إن الصلاة والصيام ، والاعتقاق والانفاق ، والحسنات .. لا تقبل ، والعائلة متبثرة ، والجو كدر ، والحب العائلي منهار . إن الصلاة المقبولة هي التي تنهى عن الفحشاء والمنكر ، والعائلة المباركة هي التي تقيم الصلاة .. وكذا أحكام الاسلام : إنها وحدة متماسكة ، يرتبط بعضها ببعض ، كالجسد الواحد لا كمال للاسلام إلا بها أجمع ، كما أن كل واحد منها لا يقوم مقام غيره ، ولا يغني عن سواء .

﴿ إنما يتقبل الله من المتقين ﴾ وهذا حد القبول بنظر القرآن ١٠٠

* * *

الأرحام

﴿ واولو الأرحام بعضهم اولى ببعض - في كتاب الله - ﴾
أولى بالاحسان ، والمغفرة ، والصلة ، والارث . . أولى بكل شيء .
إنهم جمعهم رحم واحدة ، ولهم حنين خاص نحو الآخر ، لا يزول - وإن
قامت العداوات ، واشتجرت المحاصمات -

من أقرب منهم ، حتى يخص بالرحمة دونهم ؟
جد وجدة ، وعم وعمة ، وخال وخالة ، ومن انتسب إليهم بولادة
أو قرابة . . إنهم أقرب الناس ، والأقرب يمنع الأبعد .
وهم في الدرجة الثالثة من التوقير والاحترام ، والاكرام والاحسان
في نظر الاسلام .

يقول القرآن الكريم :

﴿ وإذ أخذنا ميثاق بني اسرائيل : ألا تعبدون إلا الله ، وبالوالدين إحساناً ، وذوي القربى ﴾ .

والأرحام هي القطعة الكبيرة من الامة ، المشتملة على قطع صغيرة
فلو صلحت الأرحام ، استقامت أمر الامة ، ودقت أغصانها ،
وأنت ثمرتها : وهو التماسك والاتحاد ، شبيهة : فرد ، فعائلة ، فأرحام ،
فامة ١٠٠

والاسلام كما هو شأنه - في كل شيء - يتدرج في إصلاح المجتمع ،
فيهذب الفرد ، ثم يصرف النظر إلى العائلة ، فيقوي عراها ، ويشذب
زوائدها ، ثم يتوجه الى الأرحام ، فيحكم الصلات بينهم ، ويندب
تماسكهم ، ويندد بمن قطع الود منهم ٠٠

حتى يصل الدور الى المجتمع ، وقد تكاملت أعضائه ، واستتبنت
أجزائه ، وانتظمت أفرادهِ وعوائلهِ ، فيقرب طريق صلاحهِ ، ويسهل
تقوية روابطهِ ٠٠

ويجعل الاسلام من الثواب لصلة الرحم ، قدراً يظن الفر انه محابة
ومبالغة ، ولكنه الحقيقة ، والحقيقة وحدها ، ان ملك الله فسيح ، وثوابه
لا يعد ، وخزائنه لا تنفد ، فما ظنك بمن يخلق الاكوان الطويلة العريضة ..
بكلمة واحدة : (كن) ف (يكون) ؟

والشخص في الاخرى محتاج الى كل مزيد ، ولو قيل : ان الرجل الواحد يحتاج في الآخرة الى أمثال الأرض عشرات المرات ، لم تستعبد!!
 أليس ملوك الارض ، لا يزالون يطلبون المزيد ، وان طوى ملكهم على القارات كلها .. حتى يطلبون أراضي القمر ، وسباب مريخ ؟
 وأليس الشخص يصبح في الآخرة ملكا - كما في الحديث - ؟ فلا استبعاد في ذلك ؟

قال رسول الله ﷺ (فيما روي عنه) : « من رعى حق قرابات أبيه أعطى في الجنة ألف ألف درجة ، بعد ما بين كل درجتين حضر الفرس الجواد المضمر ، مائة سنة .. »
 وصلة الرحم لا يثاب عليها في الدار الآخرة فقط ، بل في الدنيا - أيضاً -

روى الصادق عليه السلام ، عن آبابه عليه السلام ، أن رسول الله ﷺ قال : « ان المعروف يمنح مصارع السوء ، وان الصدقة تطفي غضب الرب ، وصلة الرحم تزيد في العمر ، وتوفي الفقر .. »
 وقال أمير المؤمنين عليه السلام - لنوف البكالي - : « يا نوف : صل رحمك ! يزيد الله في عمرك » .

ان الرزق والعمر بيد الله يزيد لمن يشاء ، وينقص عن يشاء ،

وقد ضرب النبي (ﷺ) لنقص العمر وزيادته مثالا جلياً ، حتى لا يحمل كلامه على تأويل او مجاز !

قال (ﷺ) : « ان المرء ليصل رحمه ، وما بقي من عمره الا ثلاث سنين ، فيمدها الله الى ثلاث وثلاثين سنة ، وان المرء ليقطع رحمه وقد بقي من عمره ثلاث وثلاثون سنة ، فيقصرها الله الى ثلاث سنين » .
وصلة الرحم عطف من ناحيتين : ناحية إنسانية ، وناحية رحمة ، ففيها ملاك أجرين .

ولذا ورد عن رسول الله (ﷺ) أنه قال :
« الصدقة بعشرة ، والقرض بمائتي عشرة ، وصلة الاخوان بعشرين ، وصلة الرحم بأربع وعشرين » .

إنه تدرج جدير بالتأمل : إن الصدقة ترفع مستوى الفقير ، لكن عدمها لا يورث ضعفاً ولا احتياجاً ، فلها ثوابها المعتاد « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها » حسب ما يقرر القرآن الحكيم .

والقرض لما كان عن احتياج مقترن - بماء وجه المقترض - يكون فيه ثواب قضاء الحاجة ، وثواب حفظ نضارة وجه المحتاج ، فهو إذاً : أعظم من الصدقة أجراً .

والاخوان المتحابون ، قلما لا يقع بينهم هنات ، وأفضل رافع لها

الصلة ، ففيها قطع جذور الضغائن والصغائر التي لو بقيت كبرت ، وسبب
الهجران . وأخيراً : انهيار بعض المجتمع . فلا غرو ان يكون ثوابها أكثر
حتى من القرض ، فانه مثار المحرم ، بخلاف ترك القرض .

أما صلة الرحم . فهي مما لا يشك يحصد الشر الذي يرفرف دائماً
على الأقرباء ، ثم لا يزال حتى تقع الفتن الهائلة - كما هو المشاهد كثيراً -
حتى قيل : (الأقارب كالعقارب) فالصلة بر وإبقاء لجمع الكلمة ،
وتشذيب لحشائش الشر الطفيليات ، فهو أثوب وأثوب !!!

ولذا يقنع الاسلام بأقل الصلة التي تبقى الود ، وتحمص الشر !
يقول رسول الله (ﷺ) : « صلوا ارحامكم في الدنيا ولوبسلام »
ان السلام رسول الخير ، وتباشير الود ، وقالع جذور
الحقد والحسد !!

وقال ابو عبد الله (عليه السلام) : « صل رحمك ، ولو بشربة من ماء ،
وافضل ما يرصل به الرحم : كف الأذى عنها ، وصلة الرحم منسأة في
الأجل ، محبة في الأهل » .

والاسلام لا يخصص بالعطف والصلة الرحم الشفيق ، بل افضل منها
صلة رحم عدو ، كما هو شأن دساتير الاسلام الذي يرفع عن المجتمع كل
حقن وحقن .. !

« عن سائلة مولاة ابي عبد الله (عليه السلام) : قال : كنت عند ابي عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام حين حضرته الوفاة ، واغشى عليه ، فلما افاق قال : اعطوا الحسن بن علي بن علي بن الحسين - وهو الافطس - سبعين ديناراً ، واعط فلاناً كذا ، وفلاناً كذا ، فقلت : اتعطي رجلاً حمل عليك بالشفرة يريد ان يقتلك ؟ قال (عليه السلام) : تريد ان لا اكون من الذين قال الله عز وجل :

« والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل ، ويخشون ربهم ، ويخافون سوء الحساب » .

نعم : يا سائلة ، ان الله خلق الجنة فطيها ، وطيب ريحها ، وان ريحها ليجد من مسيرة النبي عام ، فلا يجد ريحها عاق ، ولا قاطع رحم .
ولا عجب : فان الاسلام يأمر بالعفو عن غير ذي الرحم : « خذ العفو ، وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين » « وان تغفوا اقرب للتقوى » فكيف بذى الرحم ??

إنها طبيعة الاسلام السمحة التي لا تريد الا السلام والوئام ،
والحب والوداد ..

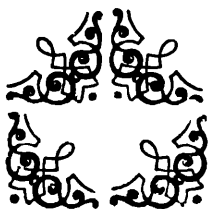
والرحم في عرف نبي السامحة (صلى الله عليه وآله وسلم) غير الرحم في عرف سائر الناس .

انها رحم وان التقت في اربعين ابا ..

قال رسول الله ﷺ : « لما اسري بي إلى السماء ، رأيت رحماً
معلقة بالعرش تشكو ارحماً الى ربها ، فقلت لها : كم بينك وبينها ؟ فقال :
نلتقي في اربعين ابا »

وقطع الرحم ، من الأعمال التي يعجل وباهن ، في الدنيا قبل
الآخرة ..

قال امير المؤمنين (عليه السلام) : « ثلاث خصال لا يموت صاحبهن ،
حتى وباهن : البغي ، وقطيعة الرحم ، واليمين الكاذبة ، وان أعجل الطاعة
نواباً لصلة الرحم .. »



الإنشئة العملية

الانسان - كما يقال - اشتق من الانس ، فكل فرد يأنس
بالآخرين ، وان اختلفوا في النوازع ، وتباينوا في الأفكار ، وتشاجروا ،
بل وحاربوا ..

وليس لقطر ان يسخر من قطر ، او يهززه ويلمزه ، والا سخر
بلد من بلد ، وحي من حي ، ودار من دار ، و- بالآخرة - فرد من فرد ..
وبذلك ينفصم الاجتماع ، ويفسد الجو ، ويكثر ضياع الدم والمال ..
اذأ : فالعلاج ، - العلاج الوحيد - : ان يترك الانسان دواعي
التبتر والانتثار ..

والاسلام يحيط المجتمع بسياج من الأخلاق ، حفظاً له عن عبث
العابثين ، وافساد المفسدين ، وليبقى للامة وحدتها ، وودهها ، والفهما ،

فيجتاز الانسان عقبات الطبيعة ، وينني صرحاً مجيداً ، وحضارة إنسانية
شاملة ، يعيش في ظلها رغداً كريماً ..

ولم التفرق ؟ ولأني علة التباغض والتشاحن ؟
أليس الجميع من أب واحد ، وام واحدة ؟ وأخيراً : كلهم أقرباء
وأبناء عم !

﴿ إنا خلقناكم من ذكر واثى .. ﴾ آدم وحواء عليها السلام
﴿ وجعلناكم شعوباً وقبائل ﴾ تأكيداً على أواصر القرابة ، ووشائج النسب ..
كل ذلك ﴿ .. لتعارفوا ١٠ ﴾ لالتناكروا وتباغضوا ..
هذا هو النشاء ..

والختام واحد : ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ وقد جعل الاسلام
للحياة الفضلى الجماهيرية حدوداً ، وأعلاماً ، إن اتبعها المجتمع افلحوا ،
ونحن نعرض - الآن - شطراً من ذلك ..



حسن الخلق

ألفضائل والردائل تنقسم على الأعضاء : فلسان الصدق والكذب ،
وللعين الطهارة والخيانة ، ولليدين العمل والبطش .. وللقلب الطيب والخبث ..
وهناك فضيلة - يدعى : « حسن الخلق » يعم جميع المشاعر ،
ويقابله سوء الخلق ، وهو أيضاً عام ، ولا يخص حاسة أو عضواً .. يسري
في جميع جهاز البدن ، سريان الروح في الجسد الحي ..
وغالباً : يسعد الانسان بهذه الفضيلة أكثر مما سواها . فالصدق
والأمانة والحياء وحسن النية .. وما إليها ، لا تجلب صديقاً ، ولا تنقص
عدواً ، أما الخلق الحسن فهو وحده كفيل بجلب أكبر عدد ممكن من
الأصدقاء !!

وقد امتن الله على نبيه بهذه الموهبة الأخاذة ، حيث يقول :

« فبما رحمة من الله لنت لهم . . » إنها حقيقة رحمة ، رحمة لهم ،
وله (ﷺ) ، أما لهم فقد أنجاهم من العذاب الذي كان يحرق دنياهم ،
ويفسد آخرتهم ، وأما له فقد حصل له من الأتباع ، وحسن الذكر ، ومثوبة
الهداية ، ما لم يكن يحصل له لولاه . . ولو كنت فظاً غليظ القلب ،
لا نفضوا من حولك . »

ولا تمر شي ، إلا وينقلب العدو صديقاً ، بينما سوء الخلق بالعكس
من ذلك ، فكثيراً ما يبدل الصدوق عدواً ، وأية صفة أعلى من تلك ؟
وأفضع من هذه ؟

يرشد القرآن إلى هذه النقطة المهمة ، في قوله :

« إُدْفِعْ بِالْأَيْمَنِ هِيَ أَحْسَنُ ! فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ ، كَانَ
وَلِيًّا حَمِيمًا . . »

لكن هل هذا صنع كل أحد ، كلا وكلا :

« . . ولا يلقبها إلا الذين صبروا . . » ليس هذا فحسب
« . . ولا يلقبها إلا ذو حظ عظيم »

إنه حظ عظيم حقيقة ، وأي حظ أكبر مما يجعل المناوى ودوداً ،
والعدو حمياً ؟ !

وسوء الخلق زمام كل شر : إن سي الخلق يكذب ويفض ، ويسب

ويلعن ، ويحقد ويضرب ، بكلح وجهه . ويمنع رفته . . فكل إحسان أحسن ، وكل خير فعل إلى الناس ، يتلاشى أمام خلقه السيء ، ولنفرض أنه أعطى درهما لفقير اكتسب وده ، إنه بسوء خلقه وعبس وجهه ، يقلبه عدواً ، ولنفرض أنه جالب لزوجته ما يرضيها ، لكن سوء خلقه -سرعان- ما يكدر الصفو ، ويورث العداوة . .

يقول الامام الرضا (عليه السلام) : « قال رسول الله (ﷺ) : الخلق السيء يفسد العمل ، كما يفسد الخل العسل » فالعسل الحلو يصبح حامضاً بالخل ، وكذلك العمل الحلو يصبح حامضاً بسوء الخلق !

في حسن الخلق خير الدنيا : من صداقة الناس ، وسؤدد ، وعيش هنيئ . . والآخرة : من نعيم ، وحوور ، وولدان ، ولم لا يكون فيه خير الآخرة ، والله يحب صاحبه ؟

قال رسول الله (ﷺ) : « إن جبرئيل : الروح الامين ، نزل علي من عند رب العالمين فقال : يا محمد ، عليك بحسن الخلق ، فانه ذهب بخير الدنيا والآخرة . ألا : وإن أشبهكم بي أحسنكم خلقاً »

و الطابع العام المسلم هو حسن الخلق ، فمن لا يحسن خلقه ، لا يكون مسلماً !

قال رسول الله (ﷺ) : « خصلتان لا تجتمعان في مسلم : البخل ،

وسوء الخلق » .

ثم ما فائدة سوء الخلق ؟ هل يرفع مشكلة ، أو يجلب منفعة ، أو يدفع مضرة ؟ .

كلا . لا هذا ، ولا ذاك ، ولا ذلك ، إنه بالعكس يجلب كل ويل على الشخص نفسه قبل غيره فهو دائماً مغموم بجانب ..

قال رسول الله (ﷺ) : « من ساء خلقه عذب نفسه » .

ثم إنه لا يسود أحداً ، ولا يكون له خليل ! .

قال أمير المؤمنين (عليه السلام) - في وصيته لولده محمد بن الحنفية :
« إياك والعجب ، وسوء الخلق ، وقلة الصبر ! فإنه لا يستقيم لك على هذه الخصال الثلاث صاحب ، ولا يزال لك عليها من الناس بجانب ، وألزم نفسك التودد » .

ويقول الامام الصادق (عليه السلام) : « لا مهواة لكذب ، ولا أخ للول ، ولا راحة لحسود . ولا سوؤدد لسيء الخلق »
وسيء الخلق مادام منطبعاً على هذه الخصلة ، يكون على قمة الشرور ، كلما تحرك وقع في شر ، كمن على جبل ذلق ، فلا يتوب من سوء خلق ، إلا وسرعان ما يقع فيه ..

قال أمير المؤمنين (عليه السلام) - لأبي أيوب الأنصاري - : ما بلغ

من كرم أخـلاقك ؟ قال : لا اؤدي جاراً فمن دونه ، ولا أمنعه معروفاً
 اقدر عليه ، ثم قال : ما من ذنب إلا وله توبة ، وما من تائب إلا وقد
 تسلم له توبته ، ما خلا سيء الخلق ، لا يكاد يتوب من ذنب ، إلا وقع في
 غيره اشد منه .

ومن ساء خلقه كدّر جوه ، كما يكدر الماء اطراف الأوحال ،
 لا يزال يبيث الشر . . حتى تحيط به هالة من الكلوح ، يمجّه من ينظر إليه ،
 ويجانبه كل صديق ، والويل - كل الويل - لعائلته ، والله يجزيه بالشر ،
 وإن صام وصلى ، وحج وأعتق . . إنه لا بد ان يذوق ما اذاق الناس .
 وهنا حديث يستغرب - بادي النظر - لكنه لا غرابة له ، بعد
 ما علمنا من عدل الجزاء . .

قال الامام الصادق (عليه السلام) : « اتى رسول الله ، فقيل له : إن
 سعد بن معاذ قدمنا ! فقام رسول الله (ﷺ) ، وقام اصحابه ، فحمل ،
 فامر بغسل سعد ، وهو قائم على عضادة الباب ، فلما ان حنط وكفن وحمل
 سريره ، تبعه رسول الله (ﷺ) بلا حذاء ولا رداء ! .

ثم كان يأخذ يمينه السرير مرة ، ويسرة مرة ، حتى انتهى به الى
 القبر ، فنزل رسول الله (ﷺ) ، حتى لحده ، وسوى عليه اللبن ،
 وجعل يقول : ناولني حجراً . ناولني تراباً رطباً ، يسد به ما بين اللبن ،

فلما ان فرغ ، وحنى التراب عليه وسوى قبره .

قال رسول الله ﷺ : إني لأعلم أنه سيبلى ، ويصل إليه البلى ،
ولكن الله عز وجل يحب عبداً إذا عمل عملاً فاتحه . ١٠

فلما ان سوى التربة عليه ، قالت ام سعد - من جانب - : هنيئاً
لك الجنة !

فقال رسول الله ﷺ : يا ام سعد ، مه ! لا تنجزني على ربك !
فان سعداً قد أصابته ضمة . ١٠٠

قال : فرجع رسول الله ﷺ ، ورجع الناس . . فقالوا :
يا رسول الله ، لقد رأيناك صنعت على سعد ، ما لم تصنعه على احد ؟! انك
تبعث جنازته بلا رداء ولا حذاء !!

فقال ﷺ : ان الملائكة كانت بلا حذاء ولا رداء ،
فتأسيت بها . .

قالوا : فكيف تأخذ بمنة السرير مرة ، ويسرة السرير مرة ؟

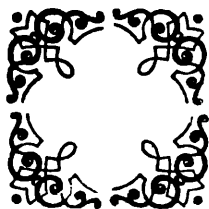
قال : كانت يدي في يد جبرئيل ، آخذ حيناً آخذ . .

فقالوا : أمرت بفعله ، وصليت على جنازته ، ولحدته ، ثم قلت :

ان سعداً اصابته ضمة ؟ ١

فقال « وَاللَّهِ لَعَلَّيْ » : نعم ، انه كان في خلقه مع اهله سوء ١١ »

ان سوء خلقه سبب الضمة ، وان كان صلى عليه الرسول ، وشيعته
الملائكة وجبرئيل ، وكان له في الاسلام سوابق ناصعة ، وصحائف بيضاء
لا عجب ، فالله عدل ، لا تجوزه مظلمة ، وان غلف صاحبها با غلفة
العبادة والطاعة .



الجود والبخل

أالجواد محبوب ، والبخل مكروه ..
والبخل مطوي أحشائه على الفقر ، وإلا فلم يبخل ؟ والجواد
مطوي ضميره على الغنى ، وإلا فلم يعطي ؟
وهما سجتان ، فلا يلزم الجود الثروة ، ولا البخل الفقر ، فرب بخل
غنى ، ورب جواد فقير .
وهناك منزلة بين السرف والبخل ، هو الجود ، وهو المدوح
عقلا وشرعاً .
يحكى الله تعالى في القرآن الحكيم : وصية لقمان لولده : التي هي
ملاك الاعطاء والقبض :
« .. ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ، ولا تبسطها كل البسط ،
فتتعد ملوماً محسوراً » .

والبخيل إنما يضيع على نفسه المدح والارتياح - في الدنيا - والثواب
والآجر في الآخرة .

يقول الله تعالى : « وان تؤمنوا ، وتتقوا ، يؤتكم أجوركم ، ولا
يسئلكم أموالكم ، ان يسئلكموها ، فيحكم .. تبخلوا ، ويخرج أضغانكم
ها انتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله ! »

فمنكم من يبخل ، ومن يبخل قائما يبخل عن نفسه ، والله الغني
وانتم الفقراء ، وان تولوا يستبدل قوما غيركم ، ثم لا يكونوا امثالكم .
ان المال ودیعة « ولا بد يوماً ان ترد الودائع » فلم يبخل الانسان
بما ان اعطاه او جر ، وان منعه زجر ؟ والخلف من الله ، فلماذا لا يثق بخلفه ؟
قال الامام الصادق (عليه السلام) : « ان كان الخلف من الله عز وجل
حقاً ، فالبخل لماذا ؟ » .

وقد تقدم حديث الرسول (ﷺ) : « خصلتان لا تجتمعان في
مسلم : البخل وسوء الخلق » .
ان الشح رذيلة تافهة ، ينبغي ان يستعيد الشخص منها ، وان يهيئ
ما عنده من حول وطول لطرده .

قال فضل بن ابي قرة : رأيت ابا عبد الله - الصادق - عليه السلام
يطوف من أول الليل الى الصباح ، وهو يقول : اللهم قني شح نفسي !

فقلت : جعلت فداك ، ما صممتك تدعو بغير هذا الدعاء ؟ قال : واي شيء أشد من شح النفس ؟ ان الله يقول : ومن يوق شح نفسه ، فأولئك هم المفلحون .

هذا امام معصوم مقرب يدعو بهذا الدعاء ، في خير بقعة ، في ليل بأكمله ، انه يستحق التأمل ، واخذ الدستور ، والاعتبار . .

ان الدنيا قد تقبل على اقوام وقد تدبر عن اقوام : فاللقبة لا ينقصها العطاء ، والمديرة لا يقيها البخل ، ويتحسر البخيل على أي حال . .
قال الامام الصادق (عليه السلام) : « عجبت لمن يبخل بالدنيا ، وهي مقبلة عليه ! او يبخل بها ، وهي مدبرة عنه ! فلا الاتفاق مع الاقبال يضره ، ولا الامساك مع الادبار ينفعه » .

اذا جادت الدنيا عليك فجد بها * على الناس طرأ ، قبل ان تنفلت
فلا الجود يفيها ، اذا هي اقبلت * ولا البخل يبيها ، اذا هي ولت
والبخيل بعيد عن الجنة ، قريب الى النار ، أو فيها لا محالة .
يقول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) : « حرمت الجنة على المناف ، والبخيل ، والقتات ، والقتات : النمام .

انه لا يدخل الجنة ، وليس بمؤمن . قال الامام الصادق (عليه السلام) :
« لا يؤمن رجل فيه الشح والحسد والجبن ، ولا يكون المؤمن جباناً ولا

حريصاً ، ولا شحيحاً » .

انه ليس بمؤمن كامل ، ولا يدخل الجنة ، إلا اذا تداركته رحمة من الله الكريم - لا البخيل -

والظالم بنظر الاسلام اقل جرماً من الشحيح ، وقد بين سبب ذلك الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) - فيما يرويه الامام الصادق عن أبيه الامام الباقر عليهما السلام - قال :

« ان علياً سمع رجلاً يقول : الشحيح اعذر من الظالم ، فقال كذبت ان الظالم يتوب ويستغفر الله ، ويرد الظلامة على أهلها ، والشحيح اذا شح منع الزكاة والصدقة ، وصلة الرحم ، واقراء الضيف . والنفقة في سبيل الله ، وابواب البر ، وحرام على الجنة ان يدخلها » .

ومن الرائع المثال الذي ضربه حاتم الطائي - الجواد المشهور - حين سئل منه : ممن تعلمت الجود ؟ قال : « من البناء : رأيت مالم يجعل على البناء اجراً ، لم يعط آخر » .

انه كذلك فالدنيا في الدوران : كل شيء منها دائر ، الفلك ، والأرض ، والحيوان ، والنبات . . . وكذلك فلتكن الأموال . يرثها الابناء من الالباء ، والأحفاد من الأجداد . . .

فلم البخل ؟ لاسبب له إلا جشع البخيل وسوء نظره ، ولذا قال

الامام الصادق (عليه السلام) : « الشح المطاع : سوء الظن بالله تعالى » .
ان البخيل بمعزل حتى عن المشورة ، فانه لضيق نظره يقرب الفقر ،
ويبعد الغنى . .

قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : « يا علي ، لا تشاور جباناً ، فانه يضيق
عليك المخرج ، ولا تشاور البخيل ، فانه يقصر بك عن غايتك ، ولا تشاور
حريصاً ، فانه يزين لك شرها ، وأعلم يا علي : ان الجبن والبخل والحرص
غريزة واحدة : يجمعها سوء الظن » .

الظن الحسن يهدي الى الأقدام - فيشجع الشخص - والى الاعطاء
- فيجود - والى عدم الاهتمام الزائد بالمستقبل - فيرضى بالقسمة ، انه يرى
النجاح والغنى وضمان المستقبل ، فلم الجبن والبخل والحرص ؟

واخيراً « السخي قريب الى الله ، قريب الى الجنة ، قريب الى
الناس ، بعيد عن النار ، والبخيل بعيد عن الله ، بعيد عن الجنة ، بعيد عن
الناس ، قريب الى النار » كما في الحديث .



الجار والصديق

هما - بعد الأقرباء - أولى الناس بالبر والصلة ، وكف الأذى ..
وقد أفرد الله إياهما بالذكر في الكتاب الحكم ، قال :
« واعبدوا الله ! ولا تشركوا به شيئاً ؟ وبالوالدين إحساناً !
وبذى القربى ! واليتامى ! والمساكين ! والجار ذى القربى ؟ والجار الجنب !
والصاحب بالجنب ! وابن السبيل ! وما ملكت أيمانكم ! إن الله لا يحب
من كان مختالاً فخوراً » .

والجار الجنب هو الجار الذي ليس بينك وبينه قرابة ، والصاحب
بالجنب : هو الصديق أو الصديق في السفر ..

انهم وصية الله ، وفي عداد العبادة ..
قال مهروان الكلبي : أوصانا أبو عبد الله عليه السلام ، فقال :
« أوصيك بتقوى الله ، وأداء الأمانة ، وصدق الحديث ، وحسن الصحابة
لمن صحبت ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم » .
انه ليس ذلك فحسب ، بل أكثر : ان من لا يصحب مصاحبه

بالحسنى ، ليس له رابطة بأهل بيت الوحي . .

قال ابو الربيع الشامي : كنا عند ابي عبد الله عليه السلام - والبيت غاص بأهله - فقال : « انه ليس منا من لم يحسن صحبة من صحبه ، ومرافقة من رافقه ، ومخالطة من مالطه ، ومخالفة من خالفه » أي في الدين ، إتباعا لقوله تعالى : « لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر ، يوادون من حاد الله ورسوله » .

انه ليس الصديق المصادق المستمر فقط ، بل أول مراتبه المجالسة ، قال ابو جعفر عليه السلام :

« أخلص ودك للمؤمن ، وإن جالسك يهودي ، فاحسن مجالسته » .
وقد ضرب لذلك الامام أمير المؤمنين عليه السلام مثالا عمليا ، كما هو شأن الهداة من آل محمد صلوات الله عليهم أجمعين ، في إتقان كل فضيلة يأمرون بها ، وترك كل رذيلة ينهون عنها .

قال الباقر عليه السلام : « ان عليا صاحب رجلا ذميا ، فقال له الذي : أين تريد ، يا عبد الله ؟ قال : أريد الكوفة ، فلما عدل الطريق بالذي ، عدل معه علي ، فقال له الذي : أليس زعمت تريد الكوفة ؟ قال : بلى ، فقال له الذي : فقد تركت الطريق ؟ فقال له : قد علمت ، فقال له : فلم عدلت معي ، وقد علمت ذلك ؟ فقال له علي : هذا من تمام حسن

الصحبة : ان يشيع الرجل صاحبه هنية إذا فارقه ، وكذلك أمرنا نبينا ، فقال له : هكذا ؟ قال : نعم ، فقال له الذي : لا جرم إنما تبعه من تبعه لأفعاله الكريمة ، وانا أشهد اني على دينك ، ورجع الذي مع علي (عليه السلام) فلما عرفه أسلم ! »

والجار : أمر بصلته الرسول (ﷺ) ، وحد حدوده : روى عن الصادق (عليه السلام) : « إن رسول الله أتاه رجل من الأنصار . فقال : يا رسول الله ، اني اشتريت داراً في بني فلان ، وان أقرب جيرانني مني جواراً ، من لا أرجو خيره ، ولا أمن شره ، قال : فأمر رسول الله : علياً وسلمان واباذر - قال الراوي : ونسيت واحداً ، وأظنه المقداد - فأمرهم : ان ينادوا في المسجد - بأعلا أصواتهم - : « انه لا إيمان لمن لا يؤمن جاره بوائقه » فنادوا ثلاثاً . ثم أمر (ﷺ) : فنودي : « إن كل أربعين داراً : من بين يديه ، ومن خلفه ، وعن يمينه ، وعن شماله ، يكون ساكنها جاراً له » قال أمير المؤمنين (عليه السلام) في وصيته عند وفاته - : « الله الله ! ! في جيرانكم - فانه وصية نبيكم ، مازال يوصي بهم ، حتى ظنننا انه سيورثهم » .

وقال الصادق (عليه السلام) : « ملعون ملعون من أذى جاره » وقال : « حسن الجوار يزيد في الرزق » .

السعي في الجوارح

المجتمع الحي هو المجتمع المبني على التعاون والتكاتف ، كل فرد منه يعاضد الآخر في حوائجه ، ويشاركه في أحزانه وأفراحه . . فترى إذا نزلت نازلة على أحد ، هب الجميع لكفاحها ، وإذا احتاج فرد إلى حاجة ، سعى لها غيره . .

والأمر تبادل ، فمن سعيت له سعى لك ، ومن شاركته همومه شاركك همومك . .

ومن نظر إلى أمة نظر فاحص ، رأى : ان كل فرد يهتم بأمور الآخرين ، يهتم بأموره ، وكل فرد ينفرد بحوائج نفسه ، كأنه ليس منهم ، نبذ كما تنبذ النوات ، فلا يعارله اهتمام ، ولا يسعى له في حاجة . . وكلما زاد تعاون الأمة ، زاد رقيها ، وبالعكس : كلما انفصلت الأواصر بينهم ،

كثير الحمل والانهطاط .

وعلى هذا يأمر الاسلام قال الله تعالى :

« وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » .

ان التعاون سمة الجماعة النشيطة ، والتفكك طابع الامة الحاملة . .

روى الامام الصادق عن آبائه عليهم السلام : « قال رسول الله

(ﷺ) : أوحى الله تبارك وتعالى إلى داود (ﷺ) : يا داود ، ان

العبد ليأتيني بالحسنة يوم القيامة ، فاحكه بها في الجنة (أي اجعله حاكما :

المؤلف) قال داود : يارب ، وما هذا العبد ، الذي يأتيك بالحسنة يوم

القيامة ، فتحكه بها في الجنة ؟ قال : عبد مؤمن ، سعى في حاجة أخيه

المسلم : أحب قضاءها . . قضيت له ، أم لم تقض » .

والساعي في الحوائج محبوب ، كما ان الخامل ساقط ، وكل خير في

من يهتم بالأفراد ، وقد أكد الاسلام السعي في الحاجات ، ورغب فيه ،

وجعل لكل قضاء نواباً وحسنة :

قال علي بن الحسين (ﷺ) : « من قضى لأخيه حاجته ، فبحاجة

الله بدأ وقضى الله بها مائة حاجة ، في إحداهن الجنة .

ومن نفس عن أخيه كربة ، نفس الله عنه كرب القيامة ،

بالغاً ما بلغت .

ومن أعانته على ظالم له ، أعانته الله على إجازة الصراط ، عند
دحض الأقدام .

ومن سعى له في حاجة حتى قضاه له ، فسر بقضائها ، فكان كاد
خال السرور على رسول الله (ﷺ) .

ومن سقاه من ظمأه ، سقاه الله من الرحيق المختوم .

ومن أطعمه من جوع أطعمه الله من ثمار الجنة .

ومن كساه من عرى ، كساه الله من استبرق وحرير .

ومن كساه من غير عرى ، لم يزل في ضمان الله ، ما دام على المكسي
من الثوب سلك .

ومن كفاه بما هو يمتنه ، وكف وجهه . ويصل به يده ، أخدمه
الله الولدان الخلد .

ومن حمله من رحله ، بعثه الله يوم القيامة إلى الموقف على ناقة من
نوق الجنة يباهي به الملائكة .

ومن كفنه عند موته ، فكأنما كساه من يوم ولدته أمه إلى
يوم يموت .

ومن زوجه زوجة يأنس بها ، ويسكن إليها ، آنسه الله في قبره ،

بصورة أحب أهله إليه .

ومن عادته عند مرضه ، حفته الملائكة ، تدعو له حتى ينصرف ،
وتقول : طبت وطابت لك الجنة .

والله لقضاء حاجته ، أحب إلى الله : من صام شهرين متتابعين ،
باعتكافهما في الشهر الحرام .

وقال الصادق عليه السلام : « ما قضى مسلم لمسلم حاجة ، إلا ناداه
الله : علي ثوابك ، ولا أرضى لك بدون الجنة » .



الصدق

إلتواء اللسان ، ليس إلا أثرًا من آثار القلب ، كما ان استقامته
من آثار إستقامته .

وكثير من الناس يزعم : انه يتمكن من لي مقوله ، ثم إخفائه
على الناس . . . لكن لو انطلى ذلك مرة ومرة . . لا ينطلي مرات
ومرات . .

فالكذب لا يزال يكذب ، حتى تبدو عورته بين الناس ، فلا
يصدق في حديث ، ولا يقبل له خبر .

وليس الصدق والكذب يدوران مدار اللسان . . إن مدارهما
الأفئدة ، فاذا صدقت ، صدق اللسان ، واليد ، والرجل . . وإذا كذبت
كذبت كلها ، ان أثم القلب : الذي التاث بالانحراف يكذب ، ويرائي

ويجب أن يحمّد بما لم يفعل ، ويخلف الوعد ، ويخون ، و . و . وأخيراً :
الكذب والاجتماع طرفاً نقيض .

قال الباقر عليه السلام : « إن الكذب خراب الإيمان » .

الإيمان يأمر بالصدق ، فالكذب خرابه ، بلا مرأ . .

والكذاب تعاكس الأقدار بغيته ، انه يكذب ليكسب عزاً
أو مالا أو . . لكنه لا يلبث حتى يعرف عند الناس بالكذب ، فلا
يصدق له قول . ولا يوقر له حديث ، بل انه يخسر فوق ذلك أحاديثه
الصادقة ، ووعوده التي ينوي الوفاء بها . .

قال أمير المؤمنين عليه السلام : « ينبغي للرجل المسلم : أن يجتنب
مواخاة الكذاب ، فانه يكذب ، حتى يحجيء بالصدق ، فلا يصدق » ان
ما ظهر من كذبه مانع عن تصديق ما يأتي به من الصدق فلا ينتفع بمثل
هذا الصديق : إن كذبه كذب ، وصدقه مشكوك ، فلا حديثه ينفع ،
ولا كلامه يسمع . .

يقال : ان راعياً كان يكذب كلما رعى غنمه ، فيصيح أيها
الناس ، الذئب . .

فاذا اجتمع الناس لخلاصه ، تبين أمره ، وظهر كذبه ، فضحك
على المجتمعين ! . .

وتصادفا . توجه نحو غنمه ذئب ، فأخذ يصيح بكل حرارة
وصدق ، لكنه عبثاً حاول جمع الناس فلم يأبهوا له ، حتى أخذ الذئب
بعض أغنامه . .

ويقال : ان ولداً كلن إذا سبح مع زملائه ، ابتعد عنهم
قليلاً ، ثم أرى نفسه غريباً ، ويستصرخ رفاقه للنجدة ، فإذا أدركوه ،
سبح وضحك منهم .

وصدفة : أصابه الفرق - في بعض تلك الأحيان - فأخذ في
الاستصراخ ، لكنه بلا جدوى ، فلم يلتفت إليه زميل . . ظناً انه يكذب ،
حتى قضى الأمر ، وهلك .

والظريف : ان الكذاب قليل الذاكرة ، وهو طبعي . فان العمل
يبقى في الحافظة أما نسج اللسان ، فيتلاشى في الهواء ، فهو ينسى ما قال .
حتى يفتضح إذا استفسر .

قال الصادق عليه السلام : « ان مما اعان الله على الكذابين ،
النسيان » .

انه يعين على فضيحتهم ! وبذلك يذهب رونقه ، ولا يعتمد عليه
يروى الصادق عليه السلام - عن عيسى بن مريم عليهما السلام
- قال . « من كثر كذبه ذهب بهاؤه » .

وقد يستصغر الناس هذا الكذب ، لكنه كذب على أي حال ،
وهو يسقط المروءة ويهين الرجل ، ولذلك يقول الامام أمير المؤمنين (عليه السلام):
« لا يجد عبد طعم الايمان ، حتى يترك الكذب ، هزله وجده » .

فان للاستقامة طعماً لذيذاً شهيئاً ، كسائر مملكات النفس ، إن
العلم والحلم ، والاخلاص والرافة .. لها مذاق حلو ، وكذلك الصديق في
في كل شيء ، ولعل إلى هذا تشير الآية الكريمة :

« فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم ، بما أخلفوا الله ما وعدوه ، وبما
كانوا يكذبون » .

إن الكاذب ، والخلف .. لا يمضي زمان ، حتى ينقلب له التواء
في القلب : ظاهر وباطن : وهذا هو النفاق ، والله لم يعقبهم هذا - قسراً -
كما يظن الجبريون ، بل هو من الآثار الطبيعية للحلف والكذب ..
وإذاً فلا عجب : أن يكون الكذب شراً من الخمر ، التي هي
مفتاح كل شر ١٠٠

قال الباقر (عليه السلام) : « ان الله عز وجل جعل للشر أقفالاً ، وجعل
مفاتيح تلك الأقفال : الشراب ، والكذب شر من الشراب » .
الشر : زنا ولواط وسحق .. ضرب وشتم ولكز .. أكل
الحرام من ميتة ودم وغصب .. سرقة ونهب وغلول .. و .. وإفقال

هذه المانعة عن بروزها : عقل وحياء وحق من الحق . . والخمر باذهاها
للعقول تفتح الأقفال . . فالشارب يرتكب كل شيء . . !

والكذب : من مراتبه : الاقتراء على الله ، والبدعة في
الدين ، ودعوى ما ليس له : من رسالة أو وصاية أو نحوها . . وهذه
شر من تلك - بديهة - .

وأحياناً يفلت زمام اللسان من يد الإنسان ، فيكذب كذبة ، ثم
يندم ، أنه ليس بكذاب ولا يترتب على فعله هذا ما يترتب على فعله
الكذاب ، من ذهاب البهاء ، وعدم التصديق ، والعقاب . ولذا يقول
الامام الصادق عليه السلام - بعد ما سئل : الكذاب هو الذي يكذب
في الشيء ؟ - : « لا ، ما من أحد ، إلا يكون ذاك منه ، ولكن . .
المطبوع على الكذب » .

* * *

ومن الكذب : الرياء ، فيعمل الرجل عملاً يريد به وجه الناس
ورضاهم - لغاية أو لغير غاية - وهو يرى أنه أراد وجه الله . !
لكن الله لا ينطلي عليه ، فهو الخير بالسرائر . . . انه يخسر
بذلك ود الناس ، ورضا الله فالله يعلم سريره ، فلا يشبهه ، ويظهر للناس
قصده ، فيسقط من أعينهم .

ومن الظريف : انه ألفت قلبه إلى الناس ، ولم يظهر على ملامحه ما نواه ، لكن الناس - بعد لآني - يعلمون قصده ، فتفسد ديناه كما فسد دينه .

قال الصادق (عليه السلام) - لعباد بن كثير ، في المسجد - :
« ويلك يا عباد ؟ إياك والرياء ، فانه من عمل لغير الله ، وكله الله إلى من عمل له » .

وفي هذا الحديث إشارة إلى قول النبي (صلى الله عليه وآله) : انه قال :
« أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر . . . قيل : وما الشرك الأصغر ، يا رسول الله ؟ قال : الرياء ، يقول الله عز وجل يوم القيامة - إذا جازى العباد بأعمالهم - : إذهبوا إلى الذين كنتم ترئون في الدنيا هل تجدون عندهم ثواب أعمالكم ؟ »

والله تعالى يرد عمل المرآئي بحجة ظريفة . .

قال الصادق عليه السلام : « قال الله عز وجل : انا خير شريك ، من أشرك معي غيري ، لم اقبله إلا ما كان لي خالصاً » .

أليس الشريك في متجر أو أرض أو . إذا وهب أحد الشريكين حصته لشريكه ، كان خيراً ، والله له هذه المنزلة : ان العمل المشترك : إن كان خيراً . فالله يهب حصته لشريكه : وإن لم يكن خيراً ، فالله لا

يجازي الا على الخير . ١

ثم ما يبتغي الراي ؟ أيبتغي حسن السمعة ؟ انه يحصل اذا أخلص ،
فان الله يظهر كل خير وكل شر .

قال الصادق (عليه السلام) « ما من عبد يسر خيراً ، الا لم تذهب
الايام حتى يظهره الله تعالى له خيراً ، وما من عبد يسر شراً ، الا لم
تذهب الايام ، حتى يظهر له شراً » .

* * *

ومن الكذب الفضيع : شهادة الزور ، انها تبز الأموال عن
أصحابها ، وتهدر الحقوق عن ذويها ، وتلحق الأولاد بغير آبائهم ،
وتثبت المناصب لغير أهلها . .

وقد وصف الله المؤمنين بأنهم « الذين لا يشهدون الزور » .
وغالب المفاسد التي تترتب على الاستغلال ، تحذفها شهادة الزور ،
وما اغتصاب الدول القوية : حقوق الضعفاء وأموالهم وبلادهم . . النتيجة
لوساطة هذه الرذيلة المجرمة .

قال رسول الله (ﷺ) : « تقبلوا الي لست ! أتقبل لكم بالجنة :
اذا حدث أحدكم . فلا يكذب . واذا وعد فلا يخلف . واذا أؤتمن فلا
يخن . وغضوا أبصاركم . وكفوا أيديكم . واحفظوا فروجكم .

والشاهد زوراً عليه الوزر ، ولغير المنهأ . انه يجر جر الى نفسه خطأ
فادحا - وعلى الأكثر - : لا ينتفع الا برشى قليلة ، فهو بذلك يحتقب
أثمين : أثم الزور ، وأثم الرشوة ، ولا عجب من تشبيه النبي (ﷺ) له
بمن يعبد الأصنام ، قال : « شاهد الزور كما بد الوثن » .

ان الله عين لكل رزقا . فمن سعى وطلب ، أتاه . وعين لكل
جاهاً وأصدقاء . . . فمن مشى عدلا ، وقال صدقا ، سيق اليه . . .
فلم يملأ بطنه من سحت ؟ ويريق ماء وجهه بالزور ؟ ويكتسب
صداقة خائن ؟

ثم ما نفع الأفاكين ؟

أليس هم أقل الناس قدراً ؟ وأبشعهم صورة ؟ وأقلهم ثروة ؟
ومن شك في ذلك . فلينظر الى اشهاد الافك حول المحاكم ،
الذين يتقاضون شيئاً يسيراً ، لا بطل الحقوق ، وهدر الأموال .
ينظر اليهم الانسان ، وكأنه ينظر الى وجوه الشياطين ،
وشمائل الغيلان . . . ١٠٠

* * *

ومن الكذب : خلف الوعد ، ويقابله الوفاء بالوعد ، وقدمدح
الله اسماعيل النبي (عليه السلام) بوفائه للوعد ، قال تعالى : « واذكر في الكتاب

اسماعيل ، انه كن صادق الوعد .

ان الوفاء يدل على الشهامة والمروءة ، واستقامة العمل . . ومن لا يريد الوفاء اخرى به ان لا يعد ، فان حمل الوعد اثقل ، من مجابهة الرد .

والخلف من صفات المنافقين ، أليس المنافق من لا يوافق لسانه وعمله ضميره ؟

قال رسول الله (ﷺ) : « اربع من كن فيه فهو منافق ، وان كانت فيه واحدة منهم ، كانت فيه خصلة من النفاق ، حتى يدعها : من اذا حدث كذب ، واذا وعد اخلف ، واذا عاهد غدر ، واذا خاصم فجر . »

وقد يقع الانسان في وضع حرج ، لا يتمكن من الوفاء - بعد ما نوى خيراً - وهذا لا يلام ، اما من يعد وهو ينوي الخلف ، او يعاهد وفي ضميره الغدر . او لا يبالي بالمواعيد فانه مذموم ، بعيد عن الرفعة النفسية ، والخلق الجليل .

وليس من العذر ان الوعد مع فاجر ، فيخلف . ان الفاجر ينبغي ان لا يعده الشخص ، لا ان يخلف ما وعده .
قال ابو عبد الله عليه السلام : « ثلاثة لا عذر لأحد فيها :

اداء الأمانة الى البر والفاجر ، والوفاء بالعهد للبر والفاجر . وبر الوالدين
برين كانا او فاجرين » .

ان الاجتماع الصحيح يبتنى على اواصر من الوفاء ، فان المعاملات
والعقود ، والعهود مع الدول والترابط بين البائع والشاري . . كلها
تتوقف على الوفاء .

ولذا قال الامام علي بن الحسين - في جواب سؤال ابي مالك :
اخبرني بجميع شرائع الدين ؟ - : « قول الحق ، والحكم بالعدل ،
والوفاء بالعهد » .

ان الوفاء بالعهد ، من شارات العدالة ، التي هي مناط الامامة
والقضاء . . فلا عدالة لمن لا وفاء له : فان من يخالف قوله عمله لا يؤمن
على حدود الله وأحكامه .

قال الصادق (عليه السلام) : « ثلاث من كن فيه ، أوجب له أربعاً
على الناس . من إذا حدثهم لم يكذبهم ، وإذا خالطهم لم يظلمهم ، وإذا
وعدهم لم يخلفهم .

وجب ان تظهر في الناس عدالته ، وتظهر فيهم مروته ، وان تحرم
عليهم غيبته . وان تجب عليهم اخوته » .

انه ليس ميزان الصلاح في الدنيا فقط . بل الموفي بالعهد مقرب

في الآخرة الى الله زلنى ، في يوم تكثر شقته ، وتثقل وطأته .
قال الصادق (عليه السلام) : « قال رسول الله (ﷺ) : أقربكم غدا
مني في الموقف اصدقكم للحديث ، وأداء الأمانة ، وأوفاكم بالعهد ، وأحسنكم
خلقاً ، وأقربكم من الناس » .

إنها حقاً خصال جميلة ، تقرب الشخص الى الله ورسوله والى
الناس ، على حد سواء :

صدق الحديث :

اداء الأمانة !

الوفاء بالعهد !

حسن الخلق !

القرب الى الناس !

وفي الحقيقة انها جوامع الخير ، ومجامع الاخلاق ، ومشاعل طرق
الانسانية الرفيعة .

* * *

ومن الكذب : النفاق ، بل هو من اسوء اقسامه . ان الكاذب
يكذب ، لكنه لا يجمع بين طرفي تقيض ، هنا صورة ولسان ، وهناك
صورة ولسان .

والمنافق بعيد عن كل معنى الشرف ، ولا ينافق إلا من نصب
معين الحياء والأمانة والحق . . في قلبه ، انه جماع خصال الشر ، وبؤرة
دنياه الصفات .

قال الباقر (عليه السلام) : « بُئس العبد عبد يكون ذا وجهين ،
وذا لسانين ، يطري أخاه شاهداً ، ويأكله غائباً ، ان أعطى حسده ،
وإن ابتلى خذله . »

وفي الحق : انه بُئس العبد : صديق وعدو المحب ومبغض
إن باطله يذهب بحقه ، وقبحه يذهب بحسنه .
فالعَدُوُّ عدو ، والصديق صديق ، وهذا وحده عدو الغيب
صديق المشهد . .

« هم العدو » على حد تعبير القرآن الحكيم .
قال الصادق (عليه السلام) : « من لقي الناس بوجهه ، وعابهم بوجهه ،
جاء يوم القيامة وله لسانان من نار ! » .
ثم ما ينفعه نفاقه ، انه - عن قريب - يظهر وجه الثاني ، فيجتنب
من حيث أراد أن يقترب .

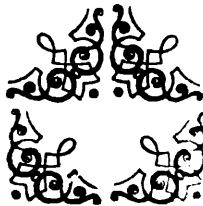
قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : « ما أضمر أحد شيئاً ، إلا ظهر في

فلتات لسانه ، وصفحات وجهه » .

يروى : انه كان فيما أوحى الله إلى عيسى بن مريم (عليهما السلام)
انه تعالى قال : « يا عيسى ، ليكن لسانك في السر والعلانية ، لساناً واحداً
وكذلك قلبك .

اني احذرك نفسك ، وكفى بي خيراً . . . !

لا يصلح لسانان في فم واحد ، ولا سيفان في غمد واحد ولا
قلبان في صدر واحد » .



العبد والضعيف

الطبائع على الأغلب ميالة إلى الظلم ، حتى قال الشاعر :

والظلم من شيم النفوس فان تجد ذا عفة ، فلعله لا يظلم

ان النفس الضعيفة كالميزان المتفكك ، إما تميل هذه الكفة ، أو تميل تلك .. ولا تتوازن ، فهي تظلم في الحكم وتظلم في الأخذ، والعطاء والقضاء والاقتضاء . والمذهب والمسلوك .. لكن النفوس القوية كالقسطاس المستقيم ، لا ينحرف بها زغ ، ولا يميلها هوى ، وإن كان في المحكوم عليه جهة تخصه من قريب أو صديق .

قال تعالى : « وإذا قلتم ، فاعدلوا ، ولو كان ذا قربى » .

أو كان بين المحكوم له وبينه احن وعداوات .

قال تعالى : « يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين شهداء بالقسط ، ولا يجرمنكم شنآن قوم : على ان لا تعدلوا ، اعدلوا ! هو اقرب

للتقوى .

ان الله عدل ، خلق العالم بالعدل ، وقد راقوات الناس ،
وانصبتهم من السعة والضييق . . بالعدل ، ولا يأمر إلا بالعدل ، ولا
ولا يجازي بالجور .

« قل : امر ربي بالقسط » « وامرت لا عدل بينكم » واقسطوا
إن الله يحب المقسطين .

« لقد ارسلنا رسلنا بالبينات ، وانزلنا معهم الكتاب والميزان ،
ليقوم الناس بالقسط . »

فمن لا يعدل يخرج عن قوانين الكون ، وسنة الله في
الخلق والرزق . .

واصعب اقسام العدل هو النصفة ، إن الشخص قد يعدل ولو على
قريبه او حبيبه ، لكن ان يعدل على نفسه ، فيعطي الحق لذي الحق ،
ويحرم نفسه ، فهو ثقیل ينوء به ذوو الهمم العالية ، فكيف بسائر
الناس .

قال الحذاء : قال لي ابو عبد الله (عليه السلام) : « ألا اخبرك بأشد ما
افترض الله على خلقه ؟ انصاف الناس من انفسهم ، ومواساة الاخوان في
الله عز وجل . وذكر الله على كل حال : فان عرضت له طاعة الله عمل بها

وإن عرضت له معصيته تركها .

انها من أشد الامور ، لكنها من أفضل الامور :

ينصف الناس من نفسه ، فيصرح بما لهم من حق عليه : إجتماعي

أو مالي أو . . . فيعطيه الحق ويحرم نفسه . بل ويذهب ماء وجهه .

وبواسي الاخوان . في الحزن والفرح . والمال والجاه . . انه عزيز ،

وعزيز جداً .

وذكر الله على كل حال - لا ان يلج بالذكر فقط - بل أن

يجعل الله أمام عينه ، لا يحرك يداً ولا رجلاً ، ولا تطرف له عين ولا

تستشرف له اذن ، ولا يتحرك له لسان ، ولا يبيج له ملمس إلا في رضا

الله ! ! ! انه أشكل الامور .

« ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر » .

ان ذلك هو ذكر الله ، لا أن يقول : سبحان الله . . الحمد لله .

لا حول ولا قوة إلا بالله . .

وقد بين ذلك الامام الصادق (عليه السلام) - في حديث آخر - قال

ابو المنذر : سمعت ابا عبد الله (عليه السلام) يقول : « سيد الأعمال ثلاثة :

انصاف الناس من نفسك : حتى لا ترضى بشيء إلا رضيت لهم مثله ،

ومواساتك الأخ في المال . وذكر الله على كل حال ..

ليس سبحانه الله والحمد لله ، ولا إله إلا الله فقط . . . !
ولكن إذا ورد عليه شيء أمر الله عز وجل به ، أخذت به ، وإذا
ورد عليك شيء نهى الله عز وجل عنه تركته . . . » .

والانسان ربما يستقيم له الطبع ، فيعدل ، في أعماله وأقواله ، لكن
يبقى من الالتواء في طبي فؤاده شيء ، به يخرج عن الاستواء في أحوال
طارئة ، كالغضب الشديد ، والفرح البالغ . . . فعلى الانسان أن يراقب نفسه
في مثل هذه الأحوال . . . كي تصفو نفسه وتصل روحه . . .

ان السيارة قد تكون مستقيمة السير ، لكنها ما لم تصدم بهضبة أو
حصوة . . . أما السيارة المستقيمة حتى في مثل هذه الطوارئ ، فيلزم لها من
الضخامة واكتمال الأجهزة ، ما ليس لغيرها .

وإلى هذا يلعب الرسول (ﷺ) .

روى جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عليهم السلام : « قال : مر
رسول الله (ﷺ) يقوم يرفعون حجراً ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : نعرف
بذلك أشدنا وأقوانا ، فقال (ﷺ) : ألا أخبركم بأشدكم وأقواكم ؟
قالوا : بلى ، يا رسول الله ، قال : أشدكم وأقواكم : الذي إذا رضي ،
لم يدخله رضاه في إثم ولا باطل ، وإذا سخط ، لم يخرج سخطه عن قول
الحق ، وإذا قدر ، لم يتعاط ما ليس له بحق » .

انه ميزان العدل ، وشارة صلاح النفس وسمة القوي : قوى النفس والروح .

وما يخاف من يترك الحق الى الجور ؟ يخاف الفاسد ام يخاف الضياع ؟ كلا ! قاله ضمن الأمرين للقائل بالحق : الغنى والجاه ، فما ينبغي بعد ذلك ؟

قال الصادق (عليه السلام) : « ما ناصح الله عبد في نفسه ، فأعطى الحق منها . واخذ الحق لها ، الا اعطي خصلتين : رزق من الله يسعه ، ورضى عن الله ينجيته » .

ينجيته مما يخاف من كيد من لا يرضى بعد له ، ان رضى الله كاف عن رضى الناس .

والظلم عاقبته وخيمة .

ان الله لم يسلط احد على احد ليظلمه : وهو للظالم بمرصاد ، ويوفر نصيب الظالم في الدنيا قبل الآخرة .

يقول الله تعالى : « ولقد اهلكنا القرون من قبلكم ، لما ظلموا »
« وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون » واعتدنا للظالمين عذابا باليا
« ان الله لا يهدي القوم الظالمين » .

قال رسول الله (ﷺ) : « اياكم والفحش ! فان الله عز وجل ،

لأ عيب الفاحش المتفحش ، وإياكم والظلم ! فإن الظلم عند الله : هو الظلمات
يوم القيامة ، وإياكم والشح ! فإنه دعا الذين من قبلكم ، حتى سفكوا
دماءهم ، ودعاهم حتى قطعوا أرحامهم ، ودعاهم حتى انتهكوا ،
واستحلوا محارمهم .

والظلم - قبل كل شيء - دليل على عدم الخوف من الله - بخط
مستقيم - أنه لو خاف الله ، وحذر عقابه ، ورجا ثوابه لم يظلم .

قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : « من خاف ربه كف ظلمه » .

والظالم معاقب على كل حال ..

فمن رسول الله (ﷺ) : « دعوة المظلوم مستجابة .. » .

« تنام عينك ، والمظلوم منتبه يدعو عليك ، وعين الله لم تنم »
وأشد الظلم : ظلم من لا يجد ناصراً ، فلا يزعم الظالم أنه غير متدارك

قال رسول الله (ﷺ) : « يقول الله عز وجل : اشتد غضبي

على من ظلم من لا يجد ناصراً غيري » .

ان من يشرب الخمر تؤثر في عقبه . ومن يأكل السم يورث في
أولاده ، وكذلك من ظلم أحداً ، أنه يعاقب ، ولو في أولاده ،
هذه سنة الكون .

قال ابو عبد الله (عليه السلام) : « من ظلم سلط الله عليه من يظلمه ،
أو على عقبه ، أو على عقب عقبه . . . » ان الله يقول : « وليخش الذين
لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا ، خافوا عليهم ، فليتقوا الله ! وليقولوا
قولا سديداً » .



لِسَانُكَ لِسَانُكَ

ان هذه الجارحة : أعني اللسان ، مع صغرها ، يقوم بجلائل ، فهو ثافي اثنين القلب ، ولذا يقال :

« انما المرء بأصغريه : قلبه ولسانه » .

يأتي من اللسان الخير ، ويأتي منه الشر ، وكلاهما عظيم .

فخيره : الارشاد ، والهداية ، وقول الحق ، والأمر بالحسن .

وشره : الغيبة ، والنميمة ، والسعاية ، والاستهزاء .

والاسلام يريد أن يكون اللسان طاهراً عن الأقدار ، نظيفاً عن

الحصائد الخبيثة .

١ — لا يغتب : أي لا يذكر الآخر - في غيابه - بسوء .

ان كل أحد - ما خلا أفراد قلائل - يحيط به نقائص ، فاشتغال

المرء بنقائص غيره ، وهو مليء بالنقيصة ، من قرنه إلى قدمه ؟
ومن سكت عن الناس سكتوا عنه ، ومن مدحهم مدحوه ، ومن
شأنهم شأنوه .

وفي كل أحد محسنات ونقائص ، فلم يشتغل الشخص بنقائصه ؟ ولو
ذكرها ذكره بمثلها .

لسانك لا تبدي به عورة امرئ . فعندك عورات ، وللناس السن
ان من يذكر الناس بسوء ، يكون كالبعوض القذر ، الذي يترك
مواضع الجسد الظريفة ، ثم يحط على القبح والوسخ .
والغيبة تملأ الأفئدة قيا ، وتكثر صفاء الاخوة بين الناس ، وقد
نهى الله عن ارتكابها .

قال تعالى : « يا أيها الذين الذين آمنوا ، اجتنبوا كثيراً
من الظن ! ان بعض الظن إثم ، ولا تجسسوا ، ولا يغتب بعضكم
بعضاً ! أوجب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً ؟ فكرهتموه ! واتقوا الله !
إن الله تواب رحيم » .

انه اخوك ، وغيباه كونه ، وعرضه كلعنه .
إن النفس لتمج أكل لحم الأخ وهو ميت ، فكيف تأكل
لحمه هكذا ؟ .

والغيبة تهدم الدين في سرعة ، كما يهدم المرض الجريء البدن
في سرعة .

قال الصادق (عليه السلام) : « قال رسول الله (ﷺ) : الغيبة أسرع
في دين الرجل المسلم ، من الآكلة في جوفه » .

أليس الدين صفاء و اخوة ، و اتحاد : و تعاون ، و عطف و ألفة ؟
و أليس كلها تذهب إدراج الغيبة ؟

و الناس قد يستسهلون في الوقوع على أعراض الناس ، ولذا ورد
التأكيد المشدد في تحريم هذه الخلة .

قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : فيما يرويه نوف البكالي - :
« اجتنب الغيبة ، فانها ادم كلاب النار ، ثم قال (عليه السلام) :
يا نوف ، كذب من زعم انه ولد من حلال ، وهو يأكل لحوم الناس
بالغيبة ١٠٠ » .

انه شرك شيطان - كما في بعض الأحاديث - ولو لم يشترك الشيطان
معه في النطفة فم هذا الحب الدائب في أكل لحوم الناس ؟ إن الحرام
الذي يأكله الشخص يؤثر - كما يؤثر البارد والحر - في النطفة ،
وبذلك يخرج الولد بعد انعقاده من النطفة : المتكونة من المال
الحرام ١٠٠٠

وبعض الناس يزعم : ان لو رأى عينه من المغتاب قبيحاً ، اتسع له الكلام حوله .

وقطعاً لهذه المزاعم يقول الامام الصادق (عليه السلام) :

« من قال في اخيه المؤمن : مارأته عيناه ، وسمعتة اذناه ، فهو ممن قال الله عز وجل : ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا ، لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة »

٢ — ولا ينم : أي لا ينقل كلام أحد إلى أحد - يريد تفرقة وفتنة - .

انه عمل المنافق الذي لا يخاف الله ، فالله أمرنا بالتحبيب والتأليف ، لا بالتفريق والتشتيت . . وقد نهى الله تعالى نبيه عن إغارة هؤلاء سمعاً قال تعالى : « ولا تطع كل حلاف مهين ، هماز مشاء بنميم . والنبي (ﷺ) قد أراح النمام - مرة واحدة - وصب على يديه ماء اليأس ، فلا يترقب الجنة . وهو نمام ، فانه (ﷺ) : « نهى عن النميمة ، والاستماع إليها . وقال : لا يدخل الجنة قنات : يعني نماماً ، وقال (ﷺ) : يقول الله عز وجل : حرمت الجنة على النمام ، والبخيل والقنات : وهو النمام . »

وإلى هذا يشير الامام الصادق (عليه السلام) - فيما قاله للمنصور :

الخليفة العباسي - : « لا تقبل في ذي رحمك ، وأهل الرعاية من أهل بيتك ، قول من حرم الله عليه الجنة ، وجعل مأواه النار ، فان النام شاهد زور ، وشريك إبليس في الاغراء بين الناس ؛ فقد قال الله تعالى : يا أيها الذين آمنوا ، إن جاءكم فاسق بنبأ ، فتبينوا ، ان تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ١٠ » .

ان الله يحب الالفة والتأليف ، والنام يحب الفرقة والتفريق ، انه يضاد الله في إرادته وسيعلم جزاءه عن قريب .

روى الصادق عن آبائه عليهم السلام : « قال النبي (ﷺ) : المؤمن غر كريم ، والفاجر خب لئيم ، وخير المؤمنين : من كان مألفة للمؤمنين ، ولا خير في من لا يألف ولا يؤلف .

وقال (ﷺ) شرار الناس من يبغض المؤمنين ، وتبغضه قلوبهم : المشاؤون بالنميمة والمفرقون بين الأحبة ، الباغون للبراء العيب ، اولئك لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكهم .

ثم تلا : هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين ، وألف بين قلوبهم .
 ٣ — ولا يسعى إلى ظالم ، فيهلك نفسه ، ويهلك المظلوم — بأذاهله — ويهلك الظالم .

قال رسول الله (ﷺ) : « ان شر الناس - يوم القيامة -

الثلث ! قيل : وما الثلث ، يا رسول الله ؟ قال : الرجل يسعى بأخيه إلى إمامه فيقبله ، فيهلك نفسه وأخاه ، وإمامه .

ومن ظريف ما يروى عن أمير المؤمنين (عليه السلام) :

ان رجلاً أتاه يسعى إليه برجل ، فقال : « يا هذا ، نحن نسأل عما قلت ؟ فان كنت صادقاً مقتنك ، وان كنت كاذباً عاقبك ، وان شئت ان نقيلك أفلنك » قال : اقلني يا أمير المؤمنين !

٤ - ولا يبهت أحداً : بأن ينسب اليه سوء آ ، وهو عنه بري .

ومن الطبيعي أن يتضاعف للباهت العذاب ، انه كذب ونميمة .

ولذا يعظمه الله تعالى في قوله : « ومن يكسب خطيئة أو إثماً ،

ثم يرم به بريئاً ، فقد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً » وقال ، في قصة الافك

المشهورة ، التي رمى فيها بعض المنافقين احدى زوجات النبي (ﷺ)

بالخيانة الجنسية - : اذ تلقونه بالسنتكم ، وتقولون - بأفواهكم - : ما ليس

لكم به علم ، وتحسبونه هيناً : وهو عند الله عظيم - م . . . لولا اذ سمعتموه

قلتكم : ما يكون لنا أن نتكلم بهذا ؟ ! سبحانه هذا بهتان عظيم . . . !

يعظكم الله : أن تعودوا المثل . . . » .

روى الامام الرضا عن آبائه عليهم السلام : قال رسول الله (ﷺ) :

من بهت مؤمناً أو مؤمنة ، أو قال فيه ما ليس فيه ، اقامه الله تعالى - يوم

القيامة - على تل من نار ، حتى يخرج مما قاله فيه » .

وانى له ان يخرج ، فانه بهتان واثم ؟ !

• - ولا يفشي عيباً ، فان المجتمع متماسك بالفضائل ، حتى يجاهر أحد برذيلة ، أو يفشي احد رذيلة آخرين ، فبذلك يتجرا العاصي ، ويتجرا غيره ، فيستبدل المجتمع الرذيلة بالفضيلة ، حتى يتفكك ويسقط في نير الفساد والانحلال .

يقول الله تعالى : ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب اليم » .

قال رسول الله (ﷺ) « الا ومن سمع فاحشة ، فأفشاها ، فهو كالذي اتاها » .

ومن يعلن بعيوب الناس ، اعلنوا بعيوبه ، ومن سكت سكتوا عنه .
روي عن النبي (ﷺ) انه قال : « كان بالمدينة اقوام لهم عيوب ، فسكتوا عن عيوب الناس ، فأسكت الله عن عيوبهم الناس ، فماتوا ولا عيوب لهم عند الناس ، وكان بالمدينة اقوام لا عيوب لهم ، فتكلموا في عيوب الناس ، فأظهر الله لهم عيوباً ، لم يزالوا يعرفون بها الى ان ماتوا » .
وكشف عيب الناس ، اسوأ من كشف عورتهم ، فالأول تحط من قدر المجتمع ، بينما الثاني يحط من قدر الفرد .

قال حذيفة بن منصور : قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) : شيء يقول الناس : عورة المؤمن على المؤمن حرام ؟ قال : « ليس حيث تذهب ، إنما عورة المؤمن ان يراه يتكلم كلام يعاب عليه ، فيحفظه عليه ليعيره به يوماً اذا غضب .

وفي حديث آخر « . . . إنما هو اذا عاى سره » .

٦ - ولا يسخر ، ولا يهز ، ولا يلز ، ولا يغمز .

ان من يسخر الناس يسخرون منه ، ولو هابوه سقط مكانه عن القلوب ، وهذا اقل جزاء يلقاه ، والله يجازي على السخرية سخرية . قال الله تعالى : « الذين يلزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم ، فيسخرون منهم . سخر الله منهم ، ولهم عذاب أليم .

« يا أيها الذين آمنوا ، لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ، ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ، ولا تلمزوا أنفسكم ، ولا تنابزوا بالألقاب ، بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ، ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون . » .

والمستهزى ، سرعان ما يفضه الناس .

ولذا قال الامام الصادق (عليه السلام) : « لا يطمعن المستهزىء بالناس

في صدق المودة .

ولعل المستهزأ به من أولياء الله تعالى ، ويضاعف عقاب المستهزى .

قال رسول الله (ﷺ) : « ان الله عز وجل كنتم ثلاثة في ثلاثة :

كنتم رضاه في طاعته ، وكنتم سخطه في مغيصته ، وكنتم وليه في خلقه .

فلا يستخفن أحدكم شيئاً من الطاعات ، فانه لا يدري في

أيها رضاه !

ولا يستقلن أحدكم شيئاً من المعاصي ، فانه لا يدري في أيها سخط الله !

ولا يزرين أحدكم بأحد من خلق الله ، فانه لا يدري أيهم ولي الله ! »



الأمانة

من شارات استقامة الروح ، وسلامة النفس ، ان يكون الانسان محفظة صدق لكل ما يودع فيه ، عنده ، من سر أو مال . . . فالصندوق الملتوي يبخل بما اودع فيه ، أما الصندوق المعتدل فيفرغ كل مال أو نقد متى شاء المودع .

وقد جعل الله تعالى من سمات المؤمنين البارزة اداء الأمانة : فقال : « قد افلح المؤمنون . . . والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون » فلا إيمان لمن لا أمانة له ، كما لا إيمان لغير راعي العهود . . .
والانسان قد يظن الأمانة شيئاً طفيفاً ، لكنها لدى التجربة اثقل من الجبال واثقل ، إلا لمن عصمهم الله - وقليل اولئك ! - .
وليس عرضاً ما نوه به القرآن الحكيم ، بهذا الصدد :

« انا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال ، فأبين ان يحملنها ، واشفقن منها ، وحملها الانسان ، انه كان ظلوماً جهولاً » .

انه تشبيه بليغ ، فان اقوى الموجودات وارساها ، تأبى عن قبول الأمانة ، لكن الانسان يقبل ، ثم يخون ، انه يظلم نفسه بذلك ، ويجهل عاقبة الخيانة الوخيمة .

ان من تتبع احوال الامناء ، ورأى كثرة خيانتهم ، او جرب نفسه عند امانات تودع عنده ، وان كان بمكانة من التزهد والاحتفاظ . . علم علم اليقين ثقل الأمانة ، وانها تنوء بها الجبال الرواسي فكيف بالانسان الظلوم الجهول ؟ !

والى هذا الثقل يشير الامام الصادق (عليه السلام) ، قال :

« احب العباد إلى الله عز وجل : صدوق في حديثه ، محافظ على صلاته ، وما افترض الله عليه مع اداء الأمانة . من أوثمن على امانة ، فأداها فقد حل الف عقدة من عنقه من النار ، فبادروا بأداء الأمانة ! فان من أوثمن على امانة ، وكل به إبليس مائة شيطان : من مرده اعوانه ليضلوه ، ويوسوسوا اليه ، حتى يهلكوه ! الا من عصم الله عز وجل » .

واداء الأمانة : ميزان الصلاح بنظر الاسلام ، لا الصلاة

والصيام . .

روى ابو جعفر الثاني (عليه السلام) عن آباءه عليهم السلام ، عن النبي (صلى الله عليه وآله) ، قال : « لا تنظروا الى كثرة صلاتهم وصومهم ، وكثرة الحج والمعروف ، وطننتهم بالليل ، ولكن انظروا الى صدق الحديث ، واداء الأمانة » .

ان كل شيء دون المال لا يأبه به ، فانها اوراد واعتيادات ، أما المال والمال وحده فهو الميزان العادل ، والخط الفاصل ، وقليل من ينجح في هذا الامتحان .

وقد ينحت المؤمن لنفسه من الأعذار ، ما هو اعلم بها .

لكن الاسلام يأبى كل عذر ، ويعتبره خيانة وغدراً . .

قال الثمالي : سمعت علي بن الحسين عليهما السلام ، يقول لشيعة : « عليكم بأداء الأمانة ، فو الذي بعث محمداً بالحق نبياً ، لو ان قاتل ابي : الحسين بن علي (عليه السلام) ، ائتمني على السيف الذي قتلته به ، لا ديتة اليه » .

ويشبه هذا ما قاله الامام الصادق (عليه السلام) : « اتقوا الله ، وعليكم بأداء الأمانة إلى من ائتمنكم ، فلو ان قاتل أمير المؤمنين (عليه السلام) ،

ائتمني على أمانة ، لأديتها اليه ، ، وفي حديث آخر عنه (ﷺ) : « أدوا الأمانة ، ولو إلى قاتل الحسين بن علي » .

والخائن - كثيراً ما - يخون لتوفير ماله ، لكن الأقدار تعاكسه ، فتفقره .

عن جعفر عن أبيه عليهما السلام قال قال رسول الله (ﷺ) :
« الأمانة تجلب الغناء ، والحياة تجلب الفقر » .



المشورة

الاستبداد لا يوضع على شيء إلا شأه ، والمشورة لا تزين
أمرًا إلا زانه .

إن الحق ليس نصيب كل أحد ، فإن الله يقسم كل شيء حتى معرفة
الحق ، والواحد ليس نصيبه منها إلا في بعض الأحيان ، وكلما ارتفع عدد
الآحاد ، ارتفعت نسبة وجه الحق .

فلو كان نصيب رجل واحد معرفة الحق في كل عشرين عملاً، مرة
يكون نصيب العشرين من الأفراد ، معرفة الحق عشرين مرة .
والمشورة تبدي الحق .

ولذا يمدح الله تعالى المؤمنين ، بكون أمرهم شورى ، قال :

« ما عند الله خير وابقى الذين آمنوا ، وعلى ربهم يتوكلون ... »
وأمرهم شورى بينهم .

انه ليس عمل المؤمن فحسب .

بل النبي (ﷺ) وهو المتصل بالوحي ، المعصوم عن الزلل ،
يأمره الله تعالى بالتشاور ، ليأتسي به المسلمون « ولكم برسال الله
أسوة حسنة » .

قال تعالى : « وشاورهم فى الأمر » فإذا عزم فتوكل على الله ،
ان الله يحب المتوكلين « وقد كان ديدن النبي (ﷺ) ذلك ، فقد كان
يشاور المسلمين فى أعماله .

والمستبد يعرض نفسه للهلكة ، قال أمير المؤمنين (عليه السلام) :
« خاطر بنفسه ، من استغنى برأيه » .

وإن كانت الامور تحتاج إلى المشورة ، فالرياسة أولى الامور
بها ، فانها ملتنى الأعمال .

ولذا قال الامام الصادق (عليه السلام) : « لا يطمعن القليل التجربة :
المعجب برأيه فى رياسة » انه لا يملك زمامها - إلا وشرعان ما يفلت من
يده - بالاستبداد والاستقلال .

والمشورة ليست حيث وقعت تجلب الخير ، فرب شخص تكون
إستشارته أضر ، وخصوصاً من جبل على صفة لثيمة ، فمشورة الجبان
في الحرب ، والبخيل في العطاء ، والسفيه في التصرف . . لا
تزيد إلا خبالاً . .

قال رسول الله (ﷺ) : « يا علي ، لا تشاور جبائناً ، فانه يضيق
عليك المخرج ، ولا تشاور البخيل ، فانه يقصر بك من غايتك ، ولا تشاور
حريصاً ، فانه يزين لك شرهاً ، واعلم يا علي ، ان الجبن والبخل والحرص
غريزة واحدة ، يجمعها سوء الظن . »

قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : « بعثني رسول الله (ﷺ) على
اليمن ، فقال - وهو يرصيني - يا علي ، ما خاب من استخار ، ولا
ندم من استشار . . » .

فمن طلب الخير وجده ، ومن شاور الناس عرف وجه الصواب .
والمشورة إنما هي مع أصحاب العقول الرزينة ، والأحلام الصحيحة
لاكل رذل أو ساقط .

عن جعفر بن محمد عن ابيه عليها السلام ، قال : « قال رسول الله
الله (ﷺ) - حينما سئل : ما الحزم ؟ - : مشاورة ذوي الرأي
واتباعهم . » .

وعنه (عليه السلام) قال : « في التوراة اربعة اسطر : من لا
يستشير يندم ، والفقر الموت الأكبر ، وكاتدين تدان ، ومن
ملك استأثر » .

والمشورة شرط أساسي ، وهو ان يكون المستشار ، ممن
يحسب الله حسابه ، ويخاف المعاد ، وإلا اشار بما لا يرضى الله ، ويكون
عاقبة : امرها خسرآ .

قال الامام الصادق (عليه السلام) : « قال علي (عليه السلام) - في كلام له - :
شاور في حديثك الذين يخافون الله » .

والمستشار مؤتمن ، فيلزم ان يقول الحق ، ولو على نفسه .
قال الصادق (عليه السلام) : « من استشار اخاه ، فلم ينصحه محض الرأي
سلبه الله عز وجل رأيه » .



الشواضع

يبنى الناس - في الأغلب - حياتهم ، على اسس ، تخالف الاسس التي هي عليها ، وبعبارة أصرح : يبنون الحياة على الالتواء ، لهم بطانة ولهم ظهارة .

فترى الشخص ، وهو دون ما يظهر ، يصر على ان يرى نفسه فوق الحقيقة ، أو على الأقل : يجب ذلك .

فترى ذا العلم الضئيل ، أو الثروة الضعيفة ، أو الجاه النكد . . يتزنى في منطقته وحكايته بزي العلماء الكبار ، والأثرياء العظام ، والوجهاء الفخام . .

لكن الواقع يأبى ان يستتره هذه الادعاءات الفارغة ، ففي أول مرة يظهر نفسه ، فينكشف الركام المزعوم ، واظرف منه انه يقع المدعى إلى دون

مقداره ، فهو ان أصر بعلم ليس له ، ارى دون ما يعلم . . وهكذا . .
ان هذا الأمر أثار كبر في النفس ، وحب للاستعلاء ، من غير
طريقه المستقيم . .

ويضاد هذه الصفة ، صفة جميلة : هي التواضع - : بأن يرى
الانسان نفسه على قدره - لا كـ ذباً وخداعا - بل حفظاً على التوازن
بين المقادير .

فمن علم - مثلاً - علم الأحياء فقط ، فان نظر إلى نفسه نظر معجب ،
استعلى وتكبر ، وان نظر إليها ، منضمًا مع النظر إلى سعة دائرة العلوم ،
وانه لا يعرف منها إلا مقدار أضيق ، تواضع ولم ييجح . . وهكذا . .
والاسلام يمدح التواضع ، فانه بيان للحقيقة ، والفة للقلوب ، مع
ما فيه كسر نزوات النفس .

قال ابو محمد العسكري (عليه السلام) : « اعرف الناس بحقوق اخوانه ،
وأشدهم قضاءً لها : أعظمهم عند الله شأنًا ، ومن تواضع في الدنيا لـ اخوانه ،
فهو عند الله من الصديقين . . » .

والتواضع محبوب عند الناس وان كان صغيراً ، والمتكبر مذموم
وان كان عظيماً . . وبالتواضع يرتفع الشخص عند الناس .
ولذا قال رسول الله (ﷺ) : « ما تواضع أحد ، إلا رفعه الله »

وإلى هذا يلح كلام الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وما أروع
من مثال يطابق الحقيقة .

روى الصادق (عليه السلام) ، عن أبيه (عليه السلام) : « ان علياً قال :
ما من أحد من ولد آدم ، إلا وناصيته بيد ملك ، فان تكبر جذبته
بناصيته إلى الأرض ، وقال له : تواضع ! وضعك الله ! وان تواضع
جذبته بناصيته ، ثم قال له : ارفع رأسك ! رفعك الله ، ولا وضعك ،
بتواضعك لله » .

وقد كان النبي (صلى الله عليه وآله) ، والأئمة من أهل بيته ، يتواضعون ،
ويعلمون الناس التواضع ، في أعمالهم وأقوالهم .

كان محمد بن مسلم رجلاً شريفاً موسراً ، فقال له أبو جعفر (عليه السلام) :
تواضع يا محمد ، فلما انصرف إلى الكوفة ، أخذ قوصرة من تمر مع
الميزان ، وجلس على باب مسجد الجامع ، وصار ينادي عليه ، فأتاه
قومه ، فقالوا له : فضحتنا ! فقال : ان مولاي أمرني بأمر ، فلن أخالفه ،
ولن أبرح ، حتى افرغ من بيع ما في هذه القوصرة ! فقال له
قومه : إذا أبيت الا ان تشتغل ببيع وشراء ، فاقعد في الصحانين !
فهيأ رحي وحمل ، وحبل يصحن » .

هكذا تكون القلوب العامرة بالإيمان ، البعيدة عن مهاوى

السكبر والاعتلاء .

وبالعكس مما ظن قوم محمد : من انه سيضع بهذه الفعلة ، انه ارتفع
وارتفع . . حتى ان علماء المسلمين لا ينظرون اليه إلا بالعظمة ، ولا يذكرونه
إلا بالتبجيل والاكرام .

والتواضع يكون بالكلام ، والسلام ، والمجلس ، والمأكل ، والمشرب
والملبس والمركب . .

ومن تواضع وجد طعمه حلواً عذبا ، أما المتكبر فيكفيه ذلاً وصغاراً
وحشة الناس منه ، ووحشته من الناس .



دَعْوَةٌ إِلَى الْفَضْلِ

الامام السجاد : علي بن الحسين (عليه السلام) ، بعد ما قتلت بنو امية اباه : الحسين (عليه السلام) ، ضربت حوله نطاقاً ضيقاً من العيون والجواسيس حذراً من إثارة الناس على سلطانهم الموبوء . . فكان بذلك ، في حبس سياسي ، وان لم يكن في السجن .

وطبعاً : يمنع حينئذ عن الاتصال بالناس ، ونشر الدعوة ، وتبليغ الدين .

وقد اختار هو (عليه السلام) أنجع الطرق ، في القضاء على الحكومة الفاسدة ، مع نشر معالم الاسلام ، والاثارة على قتلة والده (عليه السلام) .
وكان ذلك :

١ - بالبكاء المستمر الذي لم يفارقه إلى ان قضى عنه .

٢ — واتخاذ العييد والاماء ، وتزقيتهم شرائع الدين ، ثم
اعتاقهم في كل سنة . واستبدلهم بغيرهم ، فأصبحت داره كندرسه
للتوجيه والارشاد .

٣ — الجنوح إلى الأدعية ، وإيداعها معارف الاسلام ، ولذا
ورد عنه ما ورد من الدعاء والاستكانة .

ونحن لسنا بصدد ذلك ، وإنما نريد إدراج فقر من دعائه
المعروف بـ ﴿ مكارم الأخلاق ﴾ الذي هو أعظم من كل كتاب يكتب
بهذا الصدد ، بعبارات شيقة موجزة ، ومضامين رفيعة ، وأساليب بليغة ،
ولنختم الكراسة ، بهذا الختام المبارك .

« اللهم صل على محمد وآله . وبلغ بإيماني اكمل الايمان ، واجعل
يقيني أفضل اليقين ، وانه بنيتي إلى أحسن النيات . وبعملي إلى أحسن
الأعمال ، اللهم وفر بطفلك نيتي ، وصحح بما عندك يقيني ، واستصلح
بقدرتك ما فسد مني » .

اكمل الايمان ، وأفضل اليقين ، وأحسن النيات والأعمال !

نية وافرة ، ويقين صحيح . وصلاح كل شيء !

هل بعد ذلك من شيء ؟ كلا كلا !

ولو أخذ ، ان داعياً بعيداً عن كل هذه دعا الله بذلك ،

فما معناه ؟

ان معناه : انه يرغب ، والراغب لابد وان يطلب ، والطالب لابد وان يصل إلى مطلوبه ، أو بعضه ، فان من « جد وجد ، ومن لج ولج » .
« اللهم صل على محمد وآله ، واكفني ما يشغلي الاهتمام به ، واستعملني بما آتاني غداً عنه ، واستفرغ ايامي فيما خلقتني له ، واغني ، وأوسع علي في رزقك ، ولا تفتني بالنظر ، واعزني ، ولا تبتليني بالكبر ، وعبدني لك ، ولا تفسد عبادتي بالعجب ، واجر للناس على يدي الخير ، ولا تمحقه بالمن ، وهب لي معالي الأخلاق ، واعصمني من الفخر » .

الشخص يخلق كي يعيش سعيداً ويموت سعيداً ، أما من يشقى فانه أما من قصور في نظام المجتمع ، أو قصور في نفسه ، واستفراغ الأيام عن القصورين ، كي يهتم الانسان بسعادته الجسدية والروحية ، من أوجب ما يطلبه العاقل من الله .

والغنا ، والتوسعة ، والعزة ، وإجراء الخير على يدي الشخص للناس . خالية عن ان يكون إستدراجاً - كي يفسد بالمال والجاه . . . - أو يكون مصحوباً بكبر او من ، من أفضل السعادات الجسدية .

كما ان العبادة الخالية عن العجب ، خير ذخيرة لليوم الآخر .
ومعالي الأخلاق : البعيدة عن الفخر ، تسعد الانسان في دنياه

واخراه - على حد سواء .

« اللهم صل على محمد وآله ، ولا ترفعني في الناس درجة ، إلا حططتني عند نفسي مثلها ، ولا تحدث لي عزاً ظاهراً ، إلا أحدثت لي ذلة باطنة عند نفسي بقدرها » .

الرفعة في الناس ، والعز ، تلازمان في النفوس الضعيفة للكبر

والاعتلاء . !

تحفظ التوازن لا يكون إلا بالانحطاط عند النفس وذلة باطنة ، حتى تكبح النفس عن غلوائها ، ولا تنظر إلى عطفها مختالة فخورة .

« اللهم صل على محمد وآل محمد ، ومتعني بهدي صالح ، لا إستبدل به ، وطريقة حق لا ازيغ عنها ونية رشد لا اشك فيها ، وعمرني ما كان عمري بذلة في طاعتك ، فاذا كان عمري مرتعاً للشيطان فاقبضني إليك ، قبل ان يسبق مقتك الى ، أو يستحكم غضبك علي » .

الهدى الصالح الراسخ ، والطريق السوي الى الخاتمة ، والنية الراشدة التي لا تلتاث بالشكوك وعمري كله خير : فضائل قل أن يظفر بها الانسان ، وهي أحق ما يطلبه الشخص عن الله .

وما أجود تشبيه أعمار البطالين والمجرمين . . بمرتع الشيطان !

انه يرتع فيه انى شاء وكيف شاء ، أليس مرتعه ذلك ؟

والموت من أفضل الامور لمن عمره مرتع الشر، وجرثومة الاجرام،
انه لا يزال بعصي ويخرج عن الحدود، حتى يسبق مقت الله فيه، ويستحكم
غضبه عليه، فيعيش شقياً، ويموت شقياً !

« اللهم لا تدع خصلة تعاب مني إلا أصلحتها، ولا عايبة أؤنب بها
إلا حسنتها، ولا اكرومة في ناقصة إلا أتممتها » .

كلها صلاح واصلاح، واستقامة واقامة .

« اللهم صل على محمد وآل محمد، وابدلني من بغضة أهل

الشنآن المحبة .

ومن حسد أهل البغي المودة .

ومن ظنة أهل الصلاح الثقة .

ومن عداوة الاذنين الولاية !

ومن عقوق ذوي الأرحام المبرة !

ومن خذلان الأقربين النصرة !

ومن حب المدارين تصحيح المقة !

ومن رد الملايسين كرم العشرة !

ومن مرارة خوف الظالمين حلاوة الامنة ! » .

أهل البغي يحسدون، وأهل الصلاح يظنون، واللاذنون يعادون

والأرحام يعقون ، والأقربون يخذلون ، والمدارون ينفقون ، والملا بسون
يردون ، والظالمون يخافون .

فليبدل الله ما فسد منهم صلاحا ، وما زاغ اقامة . . انه درس
ودعاء . . . !

« اللهم صل على محمد وآله ، واجعل لي يدآ على من ظلمني : ولسانآ
على من خاصمني ، وظفرآ بمن عاندي ، وهب لي مكرآ على من كابدني ،
وقدرة على من اضطهني ، وتكذيبآ لمن قصبني ، وسلامة من نوعدي ،
ووفقي لطاعة من سددني ، ومتابعة من ارشدني » .

فليس في الاسلام تحمل للظلم ، حتى يجرىء الظالم ، وتبعد الشقة بين
القلوب والأفراد فالظالم المسلم لا بد وان يعمل يده ولسانه حتى يظفر ،
ويمكر - اي يعرف وجه الحيلة - ويقدر ، ويكذب ، حتى يسلم ،
انه بالنسبة الى العدو . .

اما المسدد المرشد ، فتلزم طاعته ، ومتابعته . .

وهنا نكتفي بهذا القدر من ﴿ مكارم الأخلاق ﴾ ومن ﴿ الأخلاق
الاسلامية ﴾ .

والحمد لله بده أَوْخْتَامًا ، مصليًا على سيد ولد آدم ، وآله الكرام
محمد بن المهدي كربلا

الفهرس

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٥ -	تمهيد	٩٦ -	الأرحام
٩ -	الطهارة	١٠٣ -	الإنسانية العامة
٣٩ -	أدب العبادة	١٠٥ -	حسن الخلق
٤٩ -	الألفة والوحدة	١١٢ -	الجود والبخل
٥٧ -	خلق الفرد	١١٧ -	الجار والصديق
٥٩ -	الكسل	١٢٠ -	السمي في الحوائج
٦٢ -	الطمع والحرص	١٢٤ -	الصلق
٦٦ -	حب الظهور	١٣٧ -	العدل والنصفة
٦٩ -	إكبار النفس	١٤٤ -	لسان السوء
٧٣ -	العلم	١٥٣ -	الأمانة
٧٧ -	بين أفراد العائلة	١٥٧ -	المشورة
٧٩ -	أوالد والولد	١٦١ -	التواضع
٨٨ -	أزواجان	١٦٥ -	دعوة إلى الفضائل